دراسات

أدب الرحلات العمانية

مريم بنت حميد الفافرية

أدب الرحلات العمانية

(رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى
أوروبا أنموذجاً)

مريم بنت حميد بن صقر الغافرية

أدب الرحلات العمانية

مريم بنت حميد بن صقر الغافرية

(باحثة من سلطنة عمان)

الطبعة الأولى: 2013 (مسقط)

الناشر:



بيت الغشام للنشر والترجمة

مؤسسة التكوين للخدمات التعليمية والتطوير

(سلطنة عُمان - مسقط)

للتواصل:
alghshamoman@gmail.com
هاتف: 24398889 - 99260386
ص.ب: 745 الرمز البريدي: 320
www.altakween.com

اللوحة للتشكيلي العماني: رضوان الهاشمي

تصميم الغلاف :

أحلام بنت محمد الرحبي

رقم الإيداع 182 / 2013

الإهـــداء

إلى ثمرة الفؤاد ابني المحب «إلياس»

أهديك ثمرة الغياب عنك،

راجية المولى الكريم أن يحفك بالعناية،

ويمن عليك بالصلاح.

الفهرس

شكر وتقدير

انطلاقاً من قول النبي ﷺ: «من لا يشكر الناس لا يشكر الله ».

فبمداد الشكر، وعبارات العرفان أتوجه إلى الفاضل سعادة المكرم الدكتور: أحمد الرواحي رئيس جامعة نزوى الذي أحاط أبناء جامعة نزوى بالاهتمام، وفتح معهم أبواب الحوار.

أتقدم إلى مشرفي الفاضل، الدكتور «هلال الحجري» بالشكر والامتنان على بذله الجهود الطيبة في الإشراف على مادة البحث، وإحاطته بالتوجيه والملاحظات القيمة، ودقته في متابعة المادة البحثية.

كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى كل من:

* الشيخ محمود بن زاهر الهنائي المستشار بوزارة التراث والثقافة، الذي أعطاني من وقته ووجهني إلى الكثير من المراجع في مجال الدراسة.

* الدكتور: عبد المجيد بن جلالي بجامعة نزوى، أخصك بالشكر.

* وأمتن في كثير من الأحيان إلى الأستاذ سعيد الحراصي، بجامعة السلطان قابوس، فقد كان اليد المعينة للوصول إلى تلك الكتب القابعة في أرفف المكتبة بالجامعة بسهولة ويسر.

* أخيراً شكراً أختي إيمان رفيقتي في رحلة البحث عن المراجع والدوريات.

«كلي امتنان لهم في مساندتي»

المقدمة

الرحلة مطية العربي منذ القدم، ووسيلته للهروب من ظروف الحياة القاسية إلى حياة أفضل، أما حديثا صار السفر الوجه الآخر للرحلة و»لأننا في زمن كثرت فيه الأسفار، وتقاربت فيه الأقطار، والمسافرون آلاف مؤلفة، والمرتحلون أعداد هائلة، والمغتربون أرقام مذهلة والمهاجرون كثرة كاثرة، حتى أصبح الأصل في الناس السفر»[1] المطارات تغص بالمسافرين، والخطوط البرية معمورة بالمهاجرين، والبحار تفيض بالمرتحلين، فأصبح لهذه الأمم المسافرة أدب يأنس به المسافر ويسلو به القارئ، إنه أدب الرحلة، «فأدب الرحلة لون أدبي ذو خصوصية تميزه عن غيره من الألوان الأدبية النثرية الأخرى - وإن كان - يتفق مثلاً مع الرواية، في الإفادة من المعطيات الفنية، و يشاكلها في السرد والوصف أحياناً، فإنه يختط له خطاً متميزاً، إذ يجمع إلى جانب ما سبق عناية برصد الواقع كما هو، دون اللجوء إلى الخيال إلا في إطار محاولة اختيار الأسلوب، وتقديم الواقع في ثوب أدبي، حتى يمكن أن نعد الفائدة والمتعة، وجهين لعملة واحدة، هي أدب الرحلة «[2].

وأدب الرحلة مجال رحب، ينطوي على علاقات إنسانية ضاربة في جذور التاريخ السحيق لهذا الكون، وهي محاولات صادقة لحياة الإنسان القديم، وصفحات من جهاده، إذ ينفض عنه ثياب الدعة ويرتدي ثوب الارتحال والتجوال، ويجمع التليد والطريف مما يقع عليه بصره من مشاهدات ويسجل تراث أمة تشيد به صرح الحضارة و»الرحلة تشكل أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان»[3]، تقول الباحثة نوال الشوابكة في كتابها «أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري»: «الرحلة فيها من المعلومات ما ينتفع به كل باحث، وهي منابع غنية بمختلف مظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور وأخبار ومغامرات ومعارف وعلوم...»[4].

---

(1) الزهراني، ناصر بن مسفر: أنيس المسافر وسلوة الخاطر، ط3 ، (الرياض : مؤسسة الجريسي، 1998م)، ص3.

(2) آل حمادي، عبدالله بن أحمد بن حامد: أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى : المملكة العربية السعودية، 1417هـ/1418هـ الموافق 1997م، ص1.

(3) فهيم، حسين محمد: أدب الرحلات (دراسة تحليلية من منظور أنثوجرافي، (الكويت : عالم المعرفة، 1989)، ص17.

(4) الشوابكة، نوال عبد الرحمن: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1، (عمّان: وزارة الثقافة، 2008م)، ص17.

فالرحلات تشكل نهراً متعدد المصبات، فروعه تخدم العديد من المجالات، وهي بمثابة خزائن تحفل بالعديد من الثروات «إنها خزائن تحفل بالمادة الثرية، لا في مجال الجغرافيا أو التاريخ وحسب، بل تُلم بالحضارة وتمثل تجربة تعكس صورة الإنسان عبر العصور»[5].

إن الأهمية الأدبية للرحلة والصور التاريخية التي حوتها والأدلة الجغرافية التي سيرتها، جعلتها محط المتعة والمعرفة قديماً، ولم يكن أدب الرحلة ليفقد تلك الأهمية التي كان يعلقها عليه المتلقي العربي سابقاً، والمتمثلة في نقل عادات وغرائب البلدان والأمصار - في عصر النهضة الاتصالية الهائلة التي يشهدها العالم اليوم، حتى حولت العالم قرية واحدة؛ ذلك لأن أديب الرحلة اليوم، ينحو غالباً إلى تقديم المشاهد والرؤى والأحداث الرحلية من خلال ذاته، ومن هنا كانت الرحلة الأدبية ارتحالاً في ذات الأديب، قبل أن تكون نقلاً مجرداً لمعالم الدول وقارات العالم. ومن جانب آخر أسهمت إسهاماً مميزاً في قراءة بعض مظاهر الحضارات، وتقديمها للمتلقي العربي دون تهويل أو تهميش، في عصر ظهرت فيه الصراعات الحضارية وتضارب الأيدولوجيات، ومع أن هذه القراءات تختلف إيجازاً وتفصيلاً، إلا أنها كانت تعتمد كثيراً على المشاهدة والمعايشة، وتتميز كثيراً بموضوعية نقدها المبني على ثقافة الرحالة وقدرته على الرصد والتحليل، وهي معايشة ومشاهدة، تتيح للأديب أن يعي مواطن الخلل والقصور في مجتمعه وأمته.

ولكل رحالة قصته مع الرحلة وملحمته التي يسرد فيها حكايته؛ فالرحلة في قيمتها وأهميتها لا تقل أهمية عن غيرها من فنون الأدب المختلفة؛ لذا سيجد الباحث في أدب الرحلة العربية متعتها، وخصائصها، وميزاتها الأدبية عن غيرها عند كل شعب من الأقطار العربية،ومن هذه الأقطار العربية عمان، فهي بلد كانت الرحلة فيه منطلق البقاء وتكوين الحضارة[6]،وما الرحلة عند العمانيين وانتقالهم عن وطنهم وبعدهم عنه إلا امتداداً للناس الرُّحَّل[7].

وقد جاءت الدراسة - هنا - لتكشف عن الرحلات العمانية التي تداعت أشلاؤها بين كتابات الرحالة العمانيين وبين المخطوطات التي لم تجد طريقها للتحقيق والدواوين الأدبية العمانية ، وقد انطلقت الدراسة من أسئلة الدراسة ومشكلاتها.

(5) الشوابكة،نوال : أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، ص 17.

(6) تقصد الباحثة :أن بداية التاريخ لأمجاد عمان رحلة مالك بن فهم إليها وتوطيده الاستقرار العربي فيها بطرد الفرس منها.

(7) الغيلاني،سبيت بن سعيد بن خميس:الشعر العماني في المهجر الأفريقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، 1996م، ص 7.

مدلف

إنّ للرحلة أهمية بالغة في حياة العرب، كانت منطلقاً في حياتهم منذ القدم، وموئلاً لهم في أحلك الظروف وفي الوقت نفسه كانت مجالاً للمتعة والتنفيس عن خلجات النفس وقد تجلى ذلك في رحلات البحث عن الكلأ والمرعى ومواطن الماء والخضرة، كما كانت الرحلة للصيد متعة خاصة عند فرسان العرب ومن يهوى الصيد من الملوك والشعراء والرحالة والصعاليك وتنقلات البدو الرُّحَّل.

وقد انتعشت روح الرحلة، وتوجهت إلى أهدافها السامية حين نزل القرآن الكريم على رسولنا محمد ﷺ، فقد لفت القرآن الكريم النظر إلى أهمية السفر، وفضيلته، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [8] .

كان للتنقل والارتحال نصيب وافر فالرحلات تزيدنا علما بقدرة الله وحكمته، وتدعو إلى شكر نعمته والتأمل والتفكر في خلق الله واكتشاف عجائبه الكونية، ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [9]، وأخذ العظة والعبرة من الارتحال لمواطن الأمم البائدة، ﴿ قُلْ سِيرُواْ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ [10] من هنا أمسك العرب بزمام الرحلة وتحمسوا لها مما جعل الرحلة تنال حظها الكامل من الاهتمام.

وانبرى الرحالة العرب يجوبون الآفاق لنيل الفائدة، وطلب الأرزاق، ولمعرفة الأقاليم والأمصار. وتألقت منزلة الرحلة في قلوب الكثير من العرب – خاصة – من جرب السفر وعرف متعته وفوائده.

(8) سورة الملك، الآية 15
(9) العنكبوت، الآية 20
(10) الأنعام، الآية 11

يقول الإمام علي كرم الله وجهه موضحاً أهمية السفر وفوائده[بحر الطويل][11]

تغرب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائدِ
تفرُّج هم، واكتساب معيشة وعلم، وآداب، وصحبة ماجدِ

تتجلى متعة السفر من أبيات الإمام علي -كرم الله وجهه- في خمس فوائد: تفريج الهموم والأحزان، طلب الرزق، وطلب العلم، والأدب، وكسب صحبة الأخيار والصالحين.

وقد قال الرحالة العربي المعروف أبو الحسن المسعودي[12]: «...ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما لديه من الأخبار كمن وهب عمره لقطع الأمصار، فاستخرج كل دقيق من معدنه واستجلى كل نفيس من مكمنه...»[13].

إن الأهمية التي حازت عليها الرحلات من العصور السابقة منحتها شرعية طبيعية لتدخل في قلب الأدب وتحتل مكانة مرموقة بين دفتيه؛ فصارت تشكل لونا من ألوان النثر المهمة التي أخذت لها حيزاً راقيا أطلق عليه الأدباء: أدب الرحلات وصار يتّخذ من الرحلة موضوعاً، وبمعنى آخر: «عندما تكتب الرحلة بشكل أدبي نثري متميّز وفي قالب لغة خاصّة، ومن خلال تصوّر فنّي له ملامحه وسماته المستقلّة»[14].

وقد ظهرت العديد من كتب الرحلات المختلفة التي كان لها صدى في توطيد أدب الرحلات وازدهاره على مر العصور، يقول محمد علي الصليبي: «وقد بلغ أدب الرحلات ذروته في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي حيث بلغ أوج نضجه الفني، وتنوعت أساليبه وفنونه بتنوع هذه الرحلات «[15]، ويؤكد شعيب الحليفي في كتابه «الرحلة في الأدب العربي الحديث» أن تأريخ وتدوين الرحلات بدأ في القرن التاسع الميلادي قائلاً: «يمكن اعتبار القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي بداية التأريخ للرحلات العربية المكتوبة مع اتساع دائرة التأليف في التصنيف...»[16].

(11) ابن أبي طالب، علي: ديون الإمام علي، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط 1، (بيروت : دار ومكتبة الهلال، 2003م)، ص56.

(12) علي بن الحسين بن علي المسعودي، مؤرخ ورحالة وبحاثة، من تصانيفه: مروج الذهب وأخبار الأمم من العرب والعجم وخزائن الملوك وسر العالمين... وغيرها، لقب بـ (هيرودوت العرب)، توفي عام (346هـ/957م). ينظر الزركلي، الأعلام، 4/277.

(13) المسعودي، علي بن الحسين: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ط1 (بيروت :دار الفكر العربي، 2000م)، 1/20.

(14) النساج، سيد حامد: مشوار كتب الرحلة (قديماً وحديثاً)، د.ط(القاهرة : دار غريب للطباعة)، ص5.

(15) المغيري، سعيد بن علي: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا، تحقيق محمد علي الصليبي، ط1 (سلطنة عمان :وزارة التراث والثقافة، 1985م)، ص6.

(16) الحليفي، شعيب :الرحلة في الأدب العربي الحديث، (مصر: القاهرة، 2006م)، ص6.

انتعش أدب الرحلة وازدهر عبر عصور الأدب المختلفة، فقد صور لنا أدب الرحلات العالم في بلدانه ومدنه، في مسالكه وممالكه، ونقل لنا مظاهر الحياة الإنسانية بكافة ألوانها في مأكلها ومشربها ومسكنها، وملبسها وعاداتها وتقاليدها، وقيمها الحضارية؛ فالرحلة بالنسبة للمسافر حصالة يجمع فيها «الغرائب ويكسب التجارب ويجلب المكاسب»[17]وهي»سفر واقعي أو متخيل يسمح بالسفر عبر المكان والأجناس والأنساق والكلمات، حوارا، وتحويلا، وتفسيراً»[18].

وإذا تصفحنا السجل التاريخي لأدب الرحلات؛ نجده حافلاً بأسماء العديد من الرحالة الذين حالفهم الحظ في تدوين رحلاتهم، والذين كان لهم حظ من التوفيق في ارتياد الآفاق إما للعلم أو للنزهة أو لطلب الأرزاق. فقد كانت عناية العرب بالرحلات منذ القدم، وتورد صفحات القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي حضورا لعدد من الرحالة العرب الذين كان لهم السبق في ارتياد الآفاق نذكر منهم أبا زيد البلخي[19]، والمقدسي[20]، والاصطخري[21] والمسعودي[22]، وابن حوقل[23]، والإدريسي صاحب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. أما في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي فنجد اسم أبي الريحان البيروني[24] الذي كان قد التحق بالسلطان محمود الغزنوي في غزنة سنة (1017م) حيث قام بعدة رحلات علمية في بلاد الهند وأشهر رحلاته المسماة « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة»، وهذه الرحلة تعد أنموذجًا فذًّا مخالفًا لكل ما سلف، إذ تُعد وثيقة تاريخية هامة تجاوزت الدراسة الجغرافية

(17) السنوسي، محمد: الرحلة الحجازية، د.ط، ج1، (الشركة التونسية للتوزيع والنشر، 1976م)، ص45.

(18) مودن، عبدالرحيم: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر مستويات السرد، ط1(أبوظبي: دار السويدي، 2006م)، ص 24.

(19) أبا زيد البلخي: أحمد بن سهل البلخي، (235 - 322 هـ = 849 - 934 م)، أحد الكبار الأفذاذ من علماء الإسلام، جمع بين الشريعة والفلسفة والادب والفنون، وقد سبق علماء البلدان في الإسلام كافة إلى استعمال رسم الأرض في كتابه «صور الأقاليم الإسلامية». ينظر: الزركلي1/134.

(20) المقدسي: محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء.ويقال له البشاري، شمس الدين، أبو عبد الله: رحالة جغرافي، ولد في القدس(336 - نحو 380 هـ = 947 - نحو 990 م) و تعاطى التجارة، فتجشم أسفارا هيأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد، ثم انقطع إلى تتبع ذلك، فطاف أكثر بلاد الاسلام، وصنف كتابه «أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم، قال عنه المستشرق غلد ميستر: « امتاز المقدسي عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظره»، ينظر الزركلي 5/312.

(21) الاصطخري: إبراهيم بن محمد الفارسي، أبو إسحاق ويقال له الكرخي، (..346- هـ =.- 957 م)، جغرافي ورحالة ومن علماء البلدان، له كتاب «مسالك الممالك»،«صور الأقاليم». انظر: الزركلي 1/61.

(22) المسعودي: علي بن الحسين بن علي المسعودي، مؤرخ ورحالة وبحاثة، من تصانيفه: «مروج الذهب» و«أخبار الأمم من العرب والعجم» و «خزائن الملوك وسر العالمين»... وغيرها، لقب بـ(هيرودوت العرب)، توفي عام (346هـ/957م). يُنظر الزركلي4/277.

(23) ابن حوقل: محمد بن حوقل البغدادي الموصلي، أبو القاسم، (.. بعد 367 هـ =.. بعد 977 م). رحالة ومن علماء البلدان، له كتاب «المسالك والممالك». أنظر: الزركلي6/111.

(24) أبي الريحان البيروني: محمد بن أحمد الخوارزمي، (362-440هـ = 973-1047م) فيلسوف ورياضي ومؤرخ، له عدة مؤلفات منها: «الآثار الباقية عن القرون الخالية» و«تاريخ الأمم الشرقية» وغيرها، يُنظر الزركلي5/314.

والتاريخية إلى دراسة ثقافات مجتمعات الهند قديمًا، ممثلة في لغاتها وعقائدها، وعاداتها، مع عناية خاصة باللغة السنسكريتية، وهي لغة الهند القديمة، إذ يتناولها البيروني بالتحليل، ويقارن بينها وبين اللغة العربية على نحو جديد(25).

ويعد القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وما يليه من أكثر القرون إنتاجًا لأدب الرحلات، الذي بدأ الرحالة فيه بتدوين رحلاتهم والاهتمام بتسجيل مشاهداتهم.وتطالعنا بعض النماذج وأشهرها لرحالة القرن السادس والسابع الهجريين/ الثاني والثالث عشر الميلاديين:

النموذج الأول: رحلة ابن جبير الأندلسي (ت 614هـ)(26)، وهي في الواقع ثلاث رحلات: أولاها إلى مكة للحج، وثانيها للمشرق وقد استغرقت عامين (585 - 587هـ = 1189 - 1191م)، والثالثة للمشرق أيضًا، قام بها وهو، آنذاك، شيخ كبير أراد أن يتعزّى عن فقد زوجته عام 601هـ، ولم يعد بعدها للأندلس بلده؛ بل مكث قرابة عشر سنوات متنقلاً بين مكة وبيت المقدس والقاهرة مشتغلاً بالتدريس إلى حين وفاته بالإسكندرية.

النموذج الثاني: رحلة أبي عبدالله العبدري(27) المتوفى بعد سنة (700هـ) إلى بيت الله الحرام، سنة (688هـ) وقد كان في عنفوان عمره كما قال شيخه أبو الدباغ(28).

النموذج الثالث: ابن فضل الله العمري(29) (ت749 هـ)، من أجل آثاره (مسالك الأبصار في ممالك الأمصار).

أما النموذج الرابع في أدب الرحلات في القرن السادس/الثاني عشر الميلادي، هو ابن بطوطة (ت779هـ)(30)، وقد بدأت رحلته عام (725هـ) من طنجة بالمغرب إلى مكة المكرمة،

---

(25)البيروني، محمد بن أحمد الخوارزمي: « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» ، (حيدر أباد،الهند ،سلسلة دار المعارف العثمانية، 1377هـ / 1958م) بتصرف.

(26) ابن جبير: أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (540-614هـ = 1145-1217م)، رحالة أديب، ينظر الزركلي 2/112.

(27) العبدري: أبي عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود (... بعد 688 هـ =... بعد 1289 م)، ينظر الزركلي 7/3.

(28) العبدري. محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود: رحلة العبدري، ط1(دمشق: دار سعد الدين للطباعة، 1999م)، ص164.

(29) العمري: أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العمري(700 - 749 هـ = 1301 - 1349 م): مؤرخ، حجة في معرفة الممالك والمسالك وخطوط الاقاليم والبلدان، مولده ومنشأه ووفاته في دمشق، ينظر الزركلي 1/268.

(30) ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، (703-779هـ = 1304-1377م)، رحالة ومؤرخ، طاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس واليمن والبحرين وتركستان وما وراء النهر وبعض الهند، ذكر أخبار رحلاته في كتابه «تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار» ترجمت إلى عدة لغات ونشرت بها، واستغرقت رحلته 27 سنة (1325-1352م) ومات في مراكش. يُنظر الزركلي، الأعلام، 5/314.

وظل زهاء تسع وعشرين سنة يرحل من بلد إلى بلد، ثم عاد في النهاية ليملي مشاهداته، وذكرياته على أديب كاتب يدعى: محمد بن جُزَيّ الكلبي بتكليف من سلطان المغرب وسمّى ابن بطوطة رحلته «تحفة النظّار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار».

قال عنه العلامة الكلبي[31]: «طاف الأرض معتبراً، وطوى الأرض مختبراً «[32].

وروى ابن بطوطة مشاهداته لبلدان إفريقية وكان هو أول مكتشف لها، كما صور الكثير من العادات في مجتمعات الهند بعد ثلاثة قرون من الفتح الإسلامي لها، والرحلة، في عمومها، صورة شاملة دقيقة للعالم الإسلامي خلال القرن الثامن الهجري، وإبرازٌ لجوانب مشرقة للحضارة الإسلامية والإخاء الإسلامي بين شعوبه، بما لا نجده في المصادر التاريخية التقليدية.

ومن أشهر رحالة القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي أديب غرناطة الشهير لسان الدين بن الخطيب (776هـ)[33]، وله كتاب «خطرة الطيف في رحلة الشتاء والصيف» ولابن خلدون[34] في أدب الرحلات «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب « وصف فيه مشاهداته في بلاد المغرب، خلال نفيه إليها، وهو في ثلاثة أجزاء.

هذا بالإضافة إلى كتاب ابن خلدون التعريف بابن خلدون (808هـ) ورحلته غربًا وشرقًا وهو مزيج من السيرة الذاتية وأدب الرحلات مكتوب بلغة سلسة، مع وصف دقيق لرحلته إلى كل من بلاد الأندلس حين أقام فيها منفيًّا، وبلاد الفرنجة حين أوفده أحد أمراء بني الأحمر إليها، ثم مصر التي أقام فيها قرابة ربع قرن متقلّبا بين مناصب التدريس والقضاء.

وبعد الخامس الهجري/القرن الحادي عشر الميلادي، بدأ وصف الرحلات، ولم تدون الرحلات على هيئة كتب المسالك المعروفة؛ بل دونت على هيئة مذكرات يومية تتفاوت في الدقة فيما يتعلق بتدوينها من يوم لآخر.

وأول من وضع الأساس لهذا الأدب هو ابن العربي [35] حسبما يذكر حسني محمود حسين

---

(31) محمد بن محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي، أبو عبد الله: ابن جزي الكلبي (721 - 757 هـ = 1321 - 1356 م) شاعر من كتاب الدواوين السلطانية، أندلسي، من أهل غرناطة.ولد فيها، وفاق بشعره ونثره، على حداثة سنه، ينظر الأعلام 7/37.

(32) الزيني. محمد السعيد محمد: رحلة ابن بطوطة المسماة « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، د.ط. (القاهرة:المكتبة التوفيقية)، ص 16.

(33) ابن الخطيب: محمد بن عبد الرحمن ابن الخطيب (لسان الدين) (686)، ينظر الزركلي 2/308.

(34) ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد الخلعي(808)، المؤرخ، ينظر الزركلي 2/309.

(35) ابن العربي: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الاشبيلي المالكي، أبو بكر (453-468هـ = 1148-1076م)، قاض ومن حفاظ الحديث، وصنف كتبا في الحديث والفقه والأصول والتفسير والأدب والتاريخ، يُنظر الزركلي 6/230.

في كتابه «أدب الرحلة عند العرب»، يذكر أن الرحالة ابن جبير أصَّل الكتابة في الرحلات، فيقول: «أصّل ابن جبير لأدب الرحلة وذلك بكتابته الرحلة بصيغة أدبية عالية جداً، حتى يمكن القول أن كتب الرحلات تبدأ من هذا العهد، أي برحلة ابن جبير»[36]، وتلاه بقرنين من الزمن الرحالة العربي المعروف بابن بطوطة ليقدم في ظروف خاصة نمطاً جديداً من الرحلات يختلف عن سابقه (ابن جبير)[37].

وقد شهدت القرون التالية لابن جبير كثيراً من الرحالة الذين أغنوا الأدب العربي وبعض العلوم خاصة العلوم الجغرافية والتاريخية والإنسانية بما كتبوه في رحلاتهم أمثال عبد اللطيف البغدادي[38]، وياقوت الحموي[39]، وابن سعيد[40] والعبدري.

وفي القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي يطالعنا أشهر الرحالة محمد ابن رشيد الفهري الأندلسي[41] ومحمد التجاني[42] في القرن الرابع عشر، ثم رحلة الظاهري(43) والملك قايتباي[44].

وفي القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وحتى هذا القرن ظل العرب متفوقين في ميدان الرحلات إلى أن قامت حركات الاستكشاف الأوروبية.

لقد ظل العرب لمدة ثلاثة قرون أو يزيد في حالة من الضعف والتراجع، وظلت الرحلة

(36) حسين، حسني محمود: أدب الرحلة عند العرب، ص 13.

(37) ابن جبير: محمد بن أحمد بن جبير الكناني الأندلسي (540 - 614هـ = - 1145 - 1217م)، أبو الحسين: رحالة أديب، ينظر الزركلي 5/319.

(38) عبد اللطيف البغدادي: عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي الموصلي ثم البغدادي، موفق الدين أبو محمد، ويعرف بابن اللباد وبابن نقطة، (557-629هـ = 1162-1231م)، من فلاسفة الإسلام، وأحد العلماء المكثرين من التصنيف في الحكمة وعلم النفس والطب والتاريخ والبلدان والأدب، من تصانيفه الكثيرة «الجامع الكبير» و «الكتاب الجلي في الحساب الهندي» و «المجرد في غريب الحديث» و «الدرة المضيئة في فضل مصر والإسكندرية وأخبار مصر» و «المقالة في الدواء والغذاء ومعرفة طبقاتها». يُنظر الزركلي، الأعلام، 4/61 و6/15.

(39) ياقوت الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (574 - 626هـ = 1178 - 1229م)، مؤرخ ثقة، من أئمة الجغرافيين، ومن العلماء باللغة والأدب، أصله من الروم.ينظر الزركلي 6/121.

(40) ابن سعيد: إبراهيم بن محمد بن إبراهيم التومناري (000 - 1199هـ = 000 - 1785م): فقيه مالكي من أصحاب الرحلات، من أهل سوس بالمغرب، صنف كتبا أهمها (الرحلة)، ينظر الزركلي 1/69.

(41) ابن رشيد الفهري: محمد بن عمر بن محمد، أبو عبد الله، محب الدين ابن رشيد الفهري السبتي: (657 - 721 هـ = 1259 - 1321م)، رحالة، عالم بالادب، عارف بالتفسير والتاريخ، ولد بسبتة، ومات بفاس، رحل إلى مصر والشام والحرمين (سنة 683 هـ) وصنف رحلة سماها (ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة في الرحلة إلى مكة وطيبة)، ينظر الزركلي 6/314.

(42) ابن محمد التجاني: عبد الله بن محمد التجاني، له رحلة التجاني، طبعت في تونس 1927/ 1958. ينظر الزركلي 8/309

(43) الظاهري: أبو النصر سيف الدين سلطان الديار المصرية من ملوك الجراكسة، ينظر الزركلي 5/188.

44 () الملك قايتباي: الأشرف محمد بن قايتباي(815-901هـ =-1412 1496م) تلقب بالأشرف وحكم مصر وكانت مدته حافة بالحروب، وسيرته من أطول السير، ينظر الزركلي 5/188.

في نطاق ضيق اقتصر على الرحلة للدولة العثمانية وزيارة اسطنبول عاصمة الخلافة العباسية أو الحج وزيارة الأماكن المقدسة ومن هذه الرحلات: رحلة عبدالله المراكشي العياشي[45]، ورحلة عبد الغني النابلسي[46]، وظل هذا الجمود يطبق على أدب الرحلة في جملة ما يطبق على حياة الأمة العربية حتى كانت النهضة الحديثة؛ ففتحت على أساسها أبواب أوروبا على البلاد العربية وراح الكثير من أبنائها يرحلون إلى طلب العلم أو العمل أو السياحة، فبدأ أدب الرحلة ينتعش، وبدأت زهوره تتفتح من جديد وذلك في القرنين الثاني والثالث عشر الهجريين/ التاسع عشر والعشرين الميلاديين.ومن أبرز الرحالة في عصر النهضة رفاعة الطهطاوي وشهاب الدين الألوسي[47]، وعبدالله فكري[48]، وأحمد فارس الشدياق[49]، وفي القرن العشرين زاد الاتصال وتعمقت آثاره ونضجت العلوم والتفكير أكثر مما كان عليه وزاد الوعي واليقظة وكثر الرحالون أمثال محمد الخضر حسين[50]، ومحمد حسين هيكل[51]، وأمين الريحاني[52] وكثيرون غيرهم في مشرق الوطن العربي ومغربه.

أصبحت هذه الرحلات الهيكل الذي شكل لوناً جديداً في الأدب العربي، كما أصبحت الرحلات مرجعاً لكثير من الدارسين في العلوم الإنسانية وفي المجالات الجغرافية، ولدارسي العادات والتقاليد عند الشعوب، وصار هذا اللون من الأدب ثروة لابد أن ينال من ميراثها كل باحث، كما اعتبر بعض الباحثين أن الرحلة «هي إحدى الأشكال الكبرى الأم للأدب»[53].

---

(45) عبدالله المراكشي العياشي: عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن أبي بكر العياشي، صاحب رحلة العياشي، ينظر الزركلي 1/91

(46) عبد الغني النابلسي: عبد الغني النابلسي الشاعر الأديب، الكثير التصانيف. ينظر الزركلي، 1/318.

(47) الألوسي: عبد الباقي بن محمود بن عبد الله، أبو اليمن، سعد الدين ابن شهاب الدين الآلوسي (1250 - 1298 هـ = 1834 - 1881م): أديب عراقي حنفي، من بيت العلم في بغداد.ورحل إلى استنبول وتقلد قضاء (كركوك) سنة 1292 وقضاء (بتليس) وحج.وصنف كتبا. منها (أوضح منهج إلى معرفة مناسك الحج)، ينظر الزركلي 2/272.

(48) عبد الله فكري: عبد الله فكري « باشا » بن محمد بليغ ابن عبد الله بن محمد(1250 - 1306 هـ = 1834 - 1889م) وزير مصري، من المتأدبين، له نظم وكتب منها ورسائل ومقالات.ينظر الزركلي، 4/114.

(49) الشدياق: أحمد بن يوسف بن منصور الشدياق (1219 - 1304هـ =1804-1887م) عالم باللغة والأدب. ولد في قرية عشقوت بلبنان، رحل إلى مصر ومالطة، توفي بالأستانة.ينظر الزركلي 1/193

(50) محمد الخضر حسين: (1293 - 1377 هـ = 1876 - 1958 م) محمد الخضر بن الحسين بن علي بن عمر الحسني التونسي: عالم إسلامي أديب باحث، يقول الشعر، من أعضاء المجمعين العربيين بدمشق والقاهرة، وانتدبته الحكومة العثمانية في تلك الفترة وآخرين، فنشر بعد عودته إلى دمشق سلسلة من أخبار رحلته، في جريدة (المقتبس) الدمشقي. ينظر الزركلي 6/113.

(51) هيكل: محمد حسين سالم هيكل (1305 - 1376هـ = 1888 - 1956م) كاتب صحفي مؤرخ من أعضاء المجمع اللغوي، ومن رجال السياسة بمصر، ينظر الزركلي 6/107.

(52) الريحاني: أمين بن فارس بن أنطوان بن يوسف المعروف بالريحاني (1293 - 1359هـ = 1876 - 1940م) كاتب خطيب يعد من المؤرخين، ينظر الزركلي 2/18.

(53) الحليفي، شعيب :الرحلة في الأدب العربي الحديث، (مصر: القاهرة)، ص81.

تقول الباحثة نوال الشوابكة : «الرحلة فيها من المعلومات ما ينتفع به كل باحث، وهي منابع غنية بمختلف مظاهر حياة المجتمعات البشرية بما فيها من صور وأخبار ومغامرات ومعارف وعلوم...»[54].

ومن هنا فالرحلات تشكل نهراً متعدد المصبات، فروعه تخدم العديد من المجالات، وهي بمثابة خزائن تحفل بالعديد من الثروات « إنها خزائن تحفل بالمادة الثرية، لا في مجال الجغرافيا أو التاريخ وحسب، بل تُلم بالحضارة وتمثل تجربة تعكس صورة الإنسان عبر العصور »[55].

وموضوع الدراسة – هنا – يسلط الاهتمام على تجربة الإنسان العماني مع الرحلة ومشواره الطويل في ترسيخ دعائم أدب يستحق الوقوف عليه، وأن يكون موضع اهتمام الدارسين والباحثين في مجال الأدب.

(54) الشوابكة، نوال عبدالرحمن: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ص 17.
(55) المرجع نفسه، ص 17.

الفصل الأول

تأريخ الرحلة العمانية ومراحل ازدهارها

لقد جبل الإنسان على حب الرحلة والتنقل من مكان لآخر بما فرضته عليه ظروف الحياة والبحث عن وسائل العيش الهانئ أحياناً أو الهروب من الظروف السياسية واندلاع الفتن كلها عوامل أثرت في الرحلة والانتقال بالنفس والمال بحثاً عن الأمن والاستقرار، وما رحلة العمانيين وانتقالهم عن وطنهم وبعدهم عنه إلا امتداداً للناس الرُّحّل[1].

وهنا يتحتم البحث في مكنونات التاريخ وما وصل إلينا من حديث الماضي وما دون في مذكرات التاريخ عن عمان وما ورد في تراثها الأدبي وبالتحديد في أدب الرحلة العمانية؛ فالأدب العماني يظل مجالا خصبا للباحثين رغم ندرة المصادر، وشح المادة العلمية التي توصل الباحث حول كثير من الحقائق المنشودة وتجعله - أحياناً - غير قادر على ربط حلقاته المفقودة[2].

ويرجع السبب في ذلك إلى تجاوز كُتّاب التاريخ لكثير من الفترات المهمة في تاريخ الأدب في عمان، وعلل بعض المؤرخين العمانيين أن السبب في ذلك يرجع إلى أمرين:

الأول: عدم اكتراث العلماء بالأدب والتاريخ.

الثاني: اهتمامهم بشؤون الرعية وكتابة الفقه.

لقد تميزت عمان بميزات جعلتها محط أنظار الآخرين فقد كانت منطلقاً لرحلات

(1) الغيلاني،سبيت بن سعيد بن خميس: الشعر العماني في المهجر الأفريقي، رسالة ماجستيرغير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، 1996م، ص 7.

(2) الكندي، الخطاب بن أحمد بن سعود: الأحوال السياسية والثقافية في عمان خلال الفترة 1401هـ - 513هـ/ 1010م - 1119م (دراسة تاريخية فكرية)، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، أكتوبر 2007م، ص1.

العماني المغامر إلى بلاد آسيا وما حولها، وبلاد الرافدين وتخومها، وموئلاً للرحالة والمستشرقين عبر العصور المختلفة فمنذ القرن الخامس عشر الميلادي بدأ الرحالة والمستشرقون يفدون على عمان شأنها شأن بقية الأقطار العربية، وقد جاءها المئات من الرحالة منذ بداية الغزو البرتغالي الذي اكتوت بنيرانه، وتجرعت مراراته.

وجاء إلى عمان رحالة من الدنمارك وإيطاليا، وألمانيا، وفرنسا، وأمريكا وفي مقدمتهم الإنجليز[3]. كان من أقدم الرحالة الذين زاروا عمان «بدر ودي كوفيلهام» الذي يتقن العربية ولغات شرقية أخرى وقد وصل المنطقة سنة1487م مع رفيق رحلته «دي بايفا» وكان الهدف من رحلتهما التجارة ومعرفة طريق الوصول للهند.

وفي عام 1500م وصل البرتغالي «تومي بيريز» و«دورات باربوسا» وقد ألف كل منهما كتاباً عما شاهده، وفي عام 1819م جاء إلى مسقط البريطاني «سادلر» موفداً رسميا إلى حكومة سعيد بن سلطان وقد كتب عنه وعن عمان كلاما حسناً. كذلك جاء الضابط «مكنان وزوجته» وكتبت زوجته عن مجالس النساء في عمان، كان ذلك في عام 1825م، أما الضابط «وليستد» زار عمان ووصل إلى مسقط وزار السيد سعيد بن سلطان، ثم قام بزيارةٍ لجعلان وأثنى على أهلها وحسن معاملتهم وزار نزوى والتقى بزميله الضابط «وايلتوك» وقد ألّفَا كتابين في وصف رحلتيهما وتنقلاتهما في عمان[4].

وفي عام 1835م زار مسقط «شنبرجر» وهو أمريكي وقد التقى بالسيد سعيد وتحدث عنه بإجلال كما عبر عن إعجابه بمسقط وأهلها، وزارت مسقط كذلك الأمريكية «نوستيز» برفقة زوجها «هيلر» وتركت وصفا دقيقا عن الجناح الداخلي للنساء في قصر السلطان، وفي عام 1856م جاء لمسقط الدبلوماسي الفرنسي «جوبينو» وكان من أواخر الأوروبيين الذين قابلوا السيد سعيد بن سلطان.

ومن الذين زاروا عمان «صموئيل بارت بليز» ترك كتاباً مهما بعنوان «الخليج

(3) الفلاحي، أحمد: «وصف الرحالة الأجانب لعمان في القرون الخمسة الأخيرة»، مجلة نزوى، (العدد 46)، (2006م)، ص21 - 33.

(4) الفلاحي، أحمد : « وصف الرحالة الأجانب لعمان في القرون الخمسة الأخيرة »، مجلة نزوى، (العدد 46)، 2006م، ص26.

بلدانه وقبائله»[5]، وفي عام 1869م جاء المبشر المسيحي زويمر، وفي عام 1899م زارها المبشر الأمريكي «جيمس كانتين» وبرفقة القس «كانتين» الذي سجل رحلته المهمة واصفا المناطق العمانية التي زارها، وتلاهما بعد ذلك المبشر «فان بويرسم» 1918م الذي جاء في إطار زيارة سريعة لمسقط في إطار الحملات التبشيرية[6].

وقد قام هذا المبشر برحلات بحرية إلى منطقة قريات وما حولها عام 1922م، وقد قام هذا المبشر برحلة أخرى إلى سمائل عام 1926م.

ومن أشهر المغامرين الرحالة الذين جابوا عمان في صحاريها ووديانها وجبالها وواحاتها وقراها في الأربعينات من هذا القرن «ألفرد ثيسجر»[7]، مبارك بن لندن كما سمى نفسه أو سماه أصدقاؤه من البدو.

وفي عام 1955م رافق الصحفي البريطاني «جيمس موريس» السلطان سعيد بن تيمور في رحلته البرية الشهيرة من ظفار إلى مسقط، ومن الذين حلوا بعمان الأمريكي «ويندل فيليبس» وهو مستكشف ومنقب عن البترول وقد صارت له صداقة مع السيد سعيد بن تيمور وقد زار عمان في عام 1958م.

أيضا هناك من الجيران الشرقيين من الهند ومن فارس ومن الأتراك زاروا عمان، وقد كتب بعضهم عنها أمثال «ناصر خسروا» الذي زار عمان في القرن السابع عشر وتحدث عنها وعن جوها الحار.

إن هذا السرد التاريخي لرحلات المستشرقين وغيرهم خير شاهد على مكانة عمان الهامة على خريطة الرحالة وموقعها في أدب الرحلات العالمي.

ويذكر الدكتور هلال الحجري أن هناك ثلاثة أسباب هامة لعبت دوراً لوضع عمان في مكانها الهام عبر التاريخ[8]:

(5) المرجع نفسه، ص27.

(6) المرجع نفسه، ص30.

(7) السير ألفرد ويلفرد ثيسجر ولد في أديس ابابا 1910م، له العديد من الرحلات وتقديرا له أعطي ميدالية « ليفينجستون »، ألف كتاب أسماه «الرمال العربية »، أنظر مقدمة الكتاب، ويلفرد ثيسجر الملقب بمبارك بن لندن: الرمال العربية، ط2(الإمارات العربية :موتيف إيت، 1992م).

(8) الحجري، هلال : « مدخل إلى أدب الرحلات في عمان: دراسة وصفية للرحالة البريطانيين » :دراسات في أدب عمان والخليج، تحرير شريفة اليحيائي وأيمن ميدان، ط1 (عمان: دار المسيرة، 2004)، ص371 - 372 .انظر: الحجري، هلال، « مدخل إلى أدب الرحلات في عمان، دراسة وصفية للرحالة البريطانيين من 1626م - 1970م »، مجلة نزوى (العدد 35، 2003م).

السبب الأول: الحالة الجغرافية حيث كانت عمان تشمل أغلب الجزء الشرقي لشبه الجزيرة العربية ممتدة من حضرموت إلى قطر.

السبب الثاني: عرفت عمان بكونها « أمة بحارة» فتعددت رحلات العمانيين التجارية إلى بلاد الهند والصين والرافدين منذ آلاف السنين.

السبب الثالث: هو تمتع عمان باستقلالية تامة من الناحية السياسية.

إذن فتضافر هذه العوامل الجغرافية والتاريخية والسياسية أكسب عمان أهمية كبيرة في عيون الرحالة والمهتمين على الصعيد الخارج، وفي الوقت نفسه حقق للعمانيين مكاسب حضارية وخبرة واسعة في مجال التنقل والارتحال.

ولأن الرحلة قديمة قدم التاريخ البشري وفي الوقت نفسه لم تجد الباحثة فيما بحثت فيه نصوصا صريحة لرحلة عمانية أدبية مكتوبة، تؤرخ لما قبل ظهور الإسلام سوى تلك الرحلات التاريخية التي قام بها التجار العمانيون في عصور ما قبل الميلاد مع حضارة بلاد الرافدين والحضارة في بلاد الشام والصين وكلها رحلات تجارية واقتصادية.

لقد مر أدب الرحلات في عمان بمراحل انطلقت من أول رحلة تاريخية أزهرت في عصر صدر الإسلام وأورقت في دولتي النباهنة واليعاربة وأثمرت ونضجت ثمارها في العصر الحديث في عهد الدولة البوسعيدية.

ويمكن تقسيم مراحل ازدهار الرحلات العمانية إلى قسمين هما:

- أولاً: مرحلة النشأة والتطور، وتمثل مرحلة ما بعد ظهور الإسلام، وتمتد لتشمل حكم بني نبهان حتى نهاية الدولة اليعربية، وتمتد هذه المرحلة تحديداً من (بداية القرن الأول الهجري/السابع الميلادي، وحتى القرن الثاني عشر الهجري / منتصف القرن الثامن عشر الميلادي).

- ثانياً: مرحلة الازدهار، وتبدأ هذه الفترة من حكم الدولة البوسعيدية لعمان وشرقي أفريقيا.

لم يؤرخ التاريخ أي رحلة للعمانيين إلا بعد ظهور الإسلام، وذلك في القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي، وأول رحلة تاريخية لرجل عماني بعد ظهور الإسلام، رحلة مازن بن غضوبة الأزدي، السمائلي إلى المدينة المنورة ليعلن إسلامه أمام الرسول الأعظم ﷺ، وتحفل كتب التاريخ برواية تلك الرحلة وتذكر الأهوال التي تجشمها مازن في سبيل ملاقاة ذلك الرجل المكي الذي أخبر عنه من قبل أحد التجار كما تروي السير القصة التي دارت بينه وبين الرسول ﷺ أما كتب الأدب فلا تصورها رحلة أدبية؛ إلا أنه تجدر الإشارة إليها في سياق التأريخ لأول رحلة كان مقصدها مقصدا ساميا.

أما من الناحية الأدبية فقد فخر الشاعر حميد بن عبد الله السمائلي بتلك الرحلة، حيث يقول في وصف تلك الرحلة الإيمانية، موضحا تجشم مازن بن غضوبة الطائي السمائلي الأهوال والأخطار وقطعه الفيافي والقفار على ناقته لملاقاة الرسول الكريم [بحر البسيط][9]:

مَضَى مُشِيحاً على حَرفٍ تجوبُ بهِ ... شَتَّى القَدَافِدِ لا يخشى ضواريها
تُخَلِّفُ الرِّيحَ حَسرَى أن تُلاحقها ... وتسبقُ البرقَ في أدنى مجارِيها
حَتَّى أتتْ حَضرَةَ المختارِ قائلةً ... اللهُ رَبِّي وَحَسبِي أنتَ هادِيها

وتذكر النصوص التاريخية أن أول رحالة عماني سافر إلى الصين التاجر أبو عبيدة عبدالله بن القاسم في النصف الأول من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وعاش في مدينة كانتون[10].

فالعمانيون شاركوا في الفتوحات الإسلامية وهي تعد نوعا من الرحلات الجهادية، كما ارتحل بعض من أهل عمان لطلب العلم في الأمصار الإسلامية المختلفة.

إن الدارس لأدب الرحلة العمانية حين يشرع في تحديد حجر الأساس لهذا الأدب لا بد له من الاطلاع على أول حقبة تاريخية تؤرخ للأدب في عمان.

(9) الجامعي، حميد بن عبدالله: ديوان أبي سرور، ط1(سمائل: مكتبة الفردوس، 1998م)، 1/305.
(10) الهنائي، عبدالملك بن عبدالله: «العلاقات الدولية لعمان، شواهد من الماضي»، مجلة نزوى، العدد(36)، 2003م، (ص16 - 24)، ص17.

أولا: الرحلة في عهد الدولة النبهانية

وأول عصر يؤرخ للأدب في عمان، عصر الدولة النبهانية التي امتد حكمها لمدة تقارب خمسة قرون من الزمن وأهم مصدر نستخلص منه حقائق أدبية عن الرحلة العمانية، في عصر الدولة النبهانية، هو الدواوين الأدبية التي تمثل الأدب في تلك الحقبة الزمنية وتعطي صورة للحياة في عصر النباهنة وقد طبع من نتاج العصر النبهاني، أربعة دواوين[11]:

ديوان الستالي (ت 676هـ)[12]، وديوان سليمان بن سليمان النبهاني (951هـ[13]، وديوان الكيذاوي الذي توفي في نهاية القرن العاشر الميلادي[14]، وديوان سالم بن غسان بن راشد اللواح الخروصي[15] الذي ولد في أواخر القرن التاسع وعاش حتى عام (981هـ).

وحتى تقتفي الباحثة أثر الرحلة كان لابد من الاطلاع على أدب كل عصر من العصور السابقة حتى تخلص لحقائق تتعلق بأدب الرحلة العمانية من النشأة وحتى الازدهار.

وبما أن العصر النبهاني أول عصر اهتم دارسو الأدب بتأريخه فستكون نقطة البدء من الأدب في هذا العصر والبحث في دواوينه المطبوعة، وتتبع أثر الرحلة فيها.

1 - الرحلة في شعر الستالي.

أول شاعر في عصر بني نبهان، أحمد بن سعيد الخروصي الستالي وهو من أقدم شعراء النباهنة؛ بل يعد شاعر النباهنة الأول.

كان الستالي غارقاً في مدح النباهنة وطغى هذا الغرض على شعره فأصبح شعر

---

(11) درويش، أحمد: مدخل إلى الأدب في عمان، د. ط(دار الأسرة للطباعة والنشر)،سلطنة عمان، ص 125.

(12) أحمد بن سعيد، الخروصي الستالي، الملقب بشاعر النباهنة (ق 5 - 6هـ/ 11 - 12م)، أديب فحل وشاعر بليغ، وشاعر النباهنة الأول. عاش في بلدة ستال من ولاية نزوى، صرف شعره في مدح ملوك النباهنة. ينظر: السعدي، فهد بن علي بن هاشل، معجم شعراء الإباضية، ج1/11.

(13) سليمان بن سليمان بن مظفر النبهاني (ت: بين 906 و951 هـ/ 1501 - 1509م) ملك قائد وشاعر بليغ، عاش في القرن التاسع وأول القرن العاشر الهجري؛ من ولاية بهلا، ترك ديواناً حافلاً بالفخر والحماسة والغزل والحكمة. ينظر السعدي، ج1/196.

(14) موسى بن حسين بن شوال الحسيني؛ المشهور بـ «الكيذاوي» شاعر النباهنة المتأخرين من بلدة محليا بوادي عندام. انتقل إلى ملوك النباهنة فمدحهم ونال من كرمهم ومعروفهم، كانت جل قصائده في المدح والغزل والنسيب، وتوجد له قصائد قليلة في الرثاء. ينظر السعدي، ج1/368.

(15) سالم بن غسان بن راشد الخروصي، المشهور بـ «اللواح». (و: 895هـ/ 1409 م - ت: 981هـ/ 1573 م)، أديب وشاعر بليغ ولد في بلدة ثقب من وادي بني خروص، له ديوان شعر في جزئين، حققه محمد علي الصليبي حسب الأغراض الشعرية. ينظر السعدي، ج1/141.

المديح نهجه في الحياة؛ لأنه وسيلة للتكسب ونيل العطايا والهبات من أسياده النباهنة.

هذا التوجه الكلي لشعر المديح حصر شعره في دائرة واحدة فلم تجد الباحثة في ديوانه قصيدة غرضها يتعدى المديح وذكر محاسن الممدوح؛ لكن الباحث في قصائد ديوانه يجد حضوراً لأسماء بعض البلدان والأماكن، وهي رحلات كابدها الشاعر في هذه الأماكن أو تلك واجتاز فيها مسافات شاسعة، وأماكن متباعدة بحزم قوي، وعزيمة لا تلين، «فالأسفار تعلم الكثير وتدفع لمعالي الأمور، وتشحذ الهمم، وتوسع المدارك»[16]، والستالي حفي بهذه الأسفار، عجب لها، وافتخر بقطعه لمسافات لا تتجاوز حدود المعقول على نحو قوله [بحر الطويل] [17]:

طويلٌ عريضٌ أي فج سلكته　　　أمامي ورزق الله غادٍ ورائحِ

ويتضح من حياته وشعره أنه لم يقتصر على التنقل في الديار العمانية؛ بل تنقل بعيداً عنها، وربما أخذت به الطريق إلى بلاد العراق والزنج وحضرموت، فالأماكن التي أشار إليها في قصائده تدلنا على كثرة تنقلاته وترجح معرفته بأماكن كثيرة ومشاهدته للطبيعة فيها، فهو يذكر (تكريت) بالعراق ويدعو لأهلها بالسقيا حيث يقول [بحر الهزج][18]:

منازل الحي من ميثا بتكريت[1]　　　سقيت صوب الحيا علا وحييت

أما أسفاره نحو حضرموت فيؤكد ذكرها (وادي برهوت) من هذه الديار [بحر البسيط][19]:

أنضاءُ سيرٍ على الأنضاءِ تَحسَبُهُم　　　بينَ الفلا في الدُّجَى جِنَّاتِ برهوت[2]

يظهر من ذلك أن الستالي على دراية كبيرة بالأماكن والديار مما يوحي بكثرة

(16) دومة، علي عبد الخالق علي: الستالي حياته وشعره (584هـ - 676م) د.ط، (القاهرة: دار المعارف، 1984م)، ص 23.
(17) المرجع السابق، ص 98.
(18) المرجع السابق، ص 74.
(19) المرجع السابق، ص 74.

أسفاره، وتنقلاته؛ لكنه لم يولِ وصف تلك الأسفار الكثيرة والرحلات داخل عمان أوخارجها اهتماما بحيث يفردها في قصائد مستقلة تكون محط اهتمام للدارسة في أدب الرحلات العمانية، والسبب في ذلك أنه جعل شعره محصورا في دائرة المدح، حتى تلك التي أشار فيها إلى الرحلة جاءت في سياق أفعال الممدوح وذكر صفاته.

وتجدر الإشارة إلى أن الستالي ذكر في معرض مدحه للنباهنة رحلتين للحج وذلك في قصيدتين من قصائده.

- القصيدة الأولى: قصيدة يمدح فيها السيد يعرب بن عمر بن نبهان، ويشير فيها إلى رحلة السيد يعرب إلى الحج وزيارته للبيت العتيق ومنى والمحصب وقبر الرسول الكريم، حيث يقول [بحر الطويل][20]:

قصدتَ لَحجِّ البيتِ أكرمَ وافدٍ ... أُنِيلَ المنى فيه منى والمحصبُ

وزرتَ رسولَ الله أكرمِ زائرٍ ... زهتْ بمساعيه الجميلة يثربُ

- القصيدة الثانية: يمدح فيها السلطان أبا الحسن ذهل بن عمر، ويشير فيها إلى رحلة الرجوع من حج بيت الله الحرام ويصور رجوعه، قائلاً [بحر الوافر] [21]:

فلما قضى من حَجِّهِ واعتماره ... مناسكَ يغشى موقفاً ثم موقفا

وأزمعَ للتوديع والنفر واغتدى ... وراحَ يُجوبُ المهمةَ المتعسفا

ولم يكن للرحلات حضورٌ مستقل في ديوانه على كثر تنقله وأسفاره حسب الاطلاع على قصائد ديوانه.

(20) الخروصي الستالي، أحمد بن سعيد الخروصي: ديوان الستالي، ط1 (سلطنة عمان: وزارة التراث القومي والثقافة، 1983م)، ص 19.

(21)الستالي: ديوان الستالي، ص 286.

2 - الرحلة في شعر النبهاني

يورد النبهاني في مطلع قصائده المقدمة الطللية وهي تتكاثف بأسماء الأمكنة، وهي أسماء حقيقية تتوزع بين شمال الجزيرة العربية من المدينة وحتى جنوبها في اليمن، ومن شرقها في عمان حتى غربها في الحجاز.

ويذكر الكاتب نزار العاني[22] بأن النبهاني «يورد أسماء بعض الأمكنة؛ ولكنه لم يرحل إليها رحلة حقيقية؛ بل تحدرت إليه من مذكراته الشعرية، ومحفوظاته الجغرافية. وهي ليست بالضرورة المواطن الحقيقية للحبيبات للواتي ارتحلن منها أو إليها».

وللنبهاني رحلة واحدة سافر فيها إلى هرمز بشمال عمان، وخلد ذلك بقصيدة مطلعها [بحر الطويل] [23]:

دَعَاني الهوى العُذرِيُّ بالقسمِ موهنا   لبرقٍ تنشت من عُمانٍ سحائِبُه

فأَرّقَنِي وَالخالِيُّ البالِ هَاجِعٌ   فَبِتُّ لَهُ حتى الصباحِ أُرَاقِبُه

وللنبهاني رحلات متعددة إلى الصيد حيث يستكمل مسيرته وارتحاله نحو الصيد لابساً عباءة «امرئ القيس»، يجوب الصحاري والفلوات، حاملاً أدوات الصيد، معتزاً ببداوته.

اهتم النبهاني بتصوير رحلاته ورسمها في صور ومشاهد متحركة وكأنها رحلة مصورة على شريط من كلمات الشعر، ويصف لنا النبهاني متى تبدأ رحلته فهي عادة تبدأ قبل الصبح [بحر الطويل] [24]:

وَقد أغتَدِي قَبلَ الصَّبَاحِ بِهَيكلٍ   طَوِيل عمادِ الصَّدرِ أبرَشَ جوالِ

سَلِيمُ الشَّظَا عَارِي الطَّنَابيبِ شَظِيم   أقبُّ رحيب الصَّدرِ أجردَ صَهَّالِ

---

(22) العاني، نزار: النبهاني بين الإبداع والاتباع، ط2(سلطنة عمان : المنتدى الأدبي، 2006م)، ص 25 - 26.
(23) النبهاني، سليمان بن سليمان بن مظفر: ديوان النبهاني، ط1(سلطنة عمان : وزارة التراث والثقافة)، ص35.
(24) النبهاني، سليمان: ديوان النبهاني، ص36

ثم يحدد مكان رحلته فيقول [بحر المتقارب] [25]:

إلى حيثُ حَلَّ مُلثُ الذهابِ   واجتثَّ روضَ الصَّوى فاحتشب

وأصبحَ مُعتَلِجَ الواديين   أخوى الأجارعِ زاهِي الشهب

نلاحظ أن النبهاني من خلال هذين البيتين حدد وجهته إلى المكان الذي دام فيه المطر أياماً فكانت فيه هذه النباتات؛ مما يجعله مأوى لأسراب الحيوانات التي ينبغي اصطيادها، ثم يمضي في وصف رحلته ويسترسل في وصف أدق التفاصيل فيها[26].

إن رحلات النبهاني المتنوعة في أنحاء كثيرة جعلته يتقن وصف الرحلة بصورة هائلة فالمطلع على رحلاته المتنوعة يستشف قدرته الهائلة على الوصف،وأن اللغة تطاوع شاعرنا وتسترخي أعنة الجمال بين يديه ليقودها حيث يشاء وتتلاحق فيها الصور وتتدفق بصورة عجيبة، كما أن القصيدة تزدحم فيها الألفاظ الغريبة مما يحتم على دارسها الرجوع للمعاجم لاستيضاح معانيها.

ويمكن القول إن الشاعر سليمان النبهاني كانت رحلاته رحلات تتجه للاتباع أي السير على منهج امرىء القيس في نهجه الوصفي وحبه للرحلة وتصوير كل مشهد فيها.

إن الرحلة بمعناها الحقيقي كانت لها متعة عند شاعرنا النبهاني لذا كانت جل رحلاته في الصيد والقنص، أما رحلاته الأخرى فربما كانت رحلات خيالية عدا رحلته إلى هرموز في شمال عمان.

3 - رحلات الخروصي

كانت رحلاته إلى نزوى متكررة يستنجد برجالاتها وزعمائها على قومه فلم يسعد بشيء مما حوله من الغير.

كان الشاعر يطوف بأنحاء عمان يلتمس العلم والأدب رغبة منه في المعرفة.

(25) المصدر السابق ، ص 20.

(26) بركات، شكري: ديوان النبهاني دراسة موضوعية فنية، ط1(سلطنة عمان :المطابع العالمية، روي، 1994م)، ص43.

ولا توجد له قصائد تتحدث عن رحلاته العلمية أو الاستغاثية سوى بعض القصائد التي يذكر فيها رحيله إلى مكة مكنيا عنها بـ (ليلى الشريفة)، ومما قاله واصفا رحيله عن أصحابه إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة

يدفعه حب الله عز وجل والشوق لزيارة الأماكن المقدسة، ويبدو من قصيدته أن مدة الرحلة ستة أيام، وهو يأمل لقاء أصحابه وأحبته بعدها، ويعدهم بالدعاء لهم في تلك الديار ويخصهم بدعائه في السعي بين الصفا والمروة [بحر الوافر] (27):

نودعكم أحبتنا وداعا ... قصارى ستة لكم ارتجاعا

نودعكم وفي الأحشاء منا ... أجيج الشوق يلتذع التذاعا

نودعكم أحبتا ونرجو ... على إثر الوداع نرى اجتماعا

ولولا حب بيت الله ما إن ... نوينا عن مقاربكم نزاعا

سنذكركم بمكة في المساعي ... فتوسعكم مواقينا وساعا

وفي الجزء الأول من ديوانه، وبالتحديد في الباب الثاني يمثل مدائحه في ليلى الشريفة (الكعبة) ويذكر سفره إليها وتجشمه الأهوال والمشقة في الوصول إليها وكذلك توديعها، وتوديع مقاماتها ومواقيتها.

ومن ذلك حديث الخروصي عن رحلاته الإيمانية هو ورفاقه إلى مكة لزيارة البيت العتيق، ويذكر إحرامهم وطوافهم وسعيهم وإحلالهم ، تلبية لنداء الرحمن، حيث يقول[بحر الوافر](28):

وصحبي فوق أرحلهم رقود ... تهب إذا النسيم الرطب هبا

رقصن بنا الأيانق نحو ليلى ... وقد نظرت نواظرهن حجبا

فأحرمنا وأحللنا وطفنا ... وعرفنا ولبينا الملبى

(27) اللواح، سالم بن غسان:ديوان اللواح، تحقيق محمد علي الصليبي، ط1(سلطنة عمان :وزارة التراث والثقافة، 1989م)، 1/ 146.

(28) اللواح، سالم: ديوان اللواح ، 1/ 102.

وفي القصيدة نفسها يواصل سرد رحلته الإيمانية مع رفاقه، حتى انتهى هو وأصحابه إلى طيبة الطيبة، فزار قبر الرسول ﷺ مع رفاقه أملا أن ينال حب الرسول الكريم وشفاعته، فيقول[بحر الوافر] [29]:

وعجنا نحو طيبة كي نحيي ... رسول الله إخلاصا وحبا
وقفنا عند كوكبه وقلنا ... حبيب الله فاجعلنا أحِبا

وقال متضرعا إلى الله تعالى يخاطب ناقته ساعة دخوله البيت الحرام قائلاً [بحر الطويل] [30]:

أريحي الوجا يا ناق ما بعد ذا وجا ... فقد نلت ما نلناه من مقتضى الرجا
فهذا هو البيت الحرام دخلته ... فلا تطلبي عن مخرج البيت مخرجا

وقد تعددت المواضع التي ذكر فيها رحلته إلى ليلى الشريفة والأماكن التي رآها وزارها في حله وترحاله، وقد ذكر الخروصي في مقطع من مقاطع قصيدته الموسومة بـ« ما هكذا فعل المحب الصادق! » رحلته للحج صراحة وهدفه منها العتق من النار ورضا الله جل علاه، فيقول [بحر الكامل] [31]:

إني أتيت لحج بيتك وافدا ... حسبي عليك رجائي أنك عاتقي

إن القارئ لهذا الباب من ديوان الخروصي في جزئه الأول كما قسمه محقق الديوان محمد علي الصليبي يجد أنه قد صور رحلاته الإيمانية إلى مكة المكرمة في قصائد تخاطب (ليلى) وقد يكون اختار هذا الاسم تأسياً بشعراء العرب في الجاهلية أو لكثرة رحلاته اختار اسما يخاطب به أحب مكان إلى قلبه.

---

(29) المصدر نفسه، 1/ 102.
(30) المصدر نفسه، 1/ 112.
(31) المصدر نفسه، 1/ 162.

إن قصائد الخروصي في رحلاته إلى الحج وإلى الأماكن المقدسة مثل المدينة المنورة وعرفات والمحصب ومنى وغيرها بهذا الكم الوفير يقودنا إلى أن الخروصي أكثر شاعر في الدولة النبهانية تعددت رحلاته إلى الحج وإن كان لم يصلنا منها سوى التي ذكرت في ديوانه.

4 - الرحلة في شعر الكيذاوي.

أما الرحلة عند الشاعر الكيذاوي، فكانت تصور المشقة في الوصول إلى الممدوح، ومن ذلك قصيدة المدح التي يضمنها الشاعر مغامرته ورحلته في الوصول إلى الممدوح عرار بن فلاح [بحر المتقارب][32]:

وليـل سـرينا بـه وهـو فيمـا	رأيناه في اللونـ يحكي الغرابا
كأنـ النجـوم مصابيـح زيـتـ	تـلألأنـ تجثجـة واضطرابـا
كأنـ السـماء صحيفـة رأسـ	يطارد فيها المشـيبـ الشـبابا
وقـد ملـتـ اليعمـلاتـ سـراها	فلـم يتـركـ السـير فيهـا إهابا
بداويـة مـا بهـا مـنـ أنيـسـ	تؤايسـ منـ مر فيهـا الإيابا

الواضح من مقطع قصيدته أنها ليست رحلة بمعناها الحقيقي؛ بل رحلة خيالية توضح مشقته في سيره إلى الممدوح، فقط وليس الغرض الأساسي منها وصف الرحلة.

نستخلص مما تقدم أن الستالي امتلك بذور الرحلة لكنه لم يفرد لها غرضا خاصا بها، بل غرسها في قصائد المدح؛ لذا لم تكن معالم الرحلة واضحة في شعره أو متفردة.

(32) الكيذاوي: موسى بن حسين بن شوال، ديوان الكيذاوي، ط1(سلطنة عمان :وزارة التراث والثقافة، 1985م)، ص 38.

ثانياً: الرحلة في عهد الدولة اليعربية

أما الرحلة في عهد الدولة اليعربية (1034هـ/1624م إلى 1157هـ/1744م) فلم يكن لها حضورٌ واضحٌ على الرغم من ازدهار الحياة العلمية في عهد الدولة اليعربية، ووجود عوامل كثيرة أدت إلى ازدهارها من بينها الاهتمامات العلمية لأئمة اليعاربة؛ فقد كان أغلب الأئمة من العلماء المشهورين في زمانهم[33]؛ إلا أن الدور التاريخي الذي قامت به الدولة اليعربية في طرد الغزاة جعلها دولة في موقع المدافع والحارس الأمين للوطن، ويكفي هنا أن نذكر انشغال الأئمة بالحروب مع المحتلين،أسهم في ازدهار الرحلات الجهادية من منطقة إلى أخرى.

فانبرى الشعراء يصورون ذلك بقصائد المدح ولا يوجد إشارة واضحة فيما بحثت الباحثة فيه لرحلة جهادية أو غيرها من أغراض الرحلات سوى قصيدة قالها القاضي محمد بن مسعود الصارمي في رحلته مع الإمام سلطان بن سيف اليعربي لفتح بتة مطلعها[بحر السريع] [34]:

كشفن عن تلك الوجوه الصباح   إذا همت العيس ليوم المراح

ثم يحدد وقت الوصول في تلك الرحلة قائلاً [بحر السريع] [35]:

حتى أتينا بتة بالضحى   ثم نزلنا بأرض براح

فهذه القصيدة الوحيدة التي توضح تفاصيل مهمة[36] لرحلة من رحلات أئمة اليعاربة وقد تكون هناك الكثير من الرحلات التي لم يحالف أصحابها الحظ في تدوينها أو انتقلت شفاهة واندثرت بموت أصحابها.

(33) البراشدي، موسى بن سالم بن حمد:الحياة العلمية في عمان في عهد اليعاربة خلال الفترة من 1034هـ/ 1624م إلى 1157هـ/1744م، رسالة ماجستير غير مدروسة في الآداب: تاريخ، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس: سلطنة عمان، يناير 2006م، ص 19.

(34) المغيري، سعيد:جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص197،

(35) المصدر السابق، ص 198.

(36) أنظر بقية تفاصيل القصيدة في جهينة الأخبار، ص 198.

وتجدر الإشارة إلى أنه يمكن تصنيف ما قام به الإمام سيف بن سلطان بعد رجوعه من رحلته إلى
(بتة)وإرساله الولاة متناوبين من عمان إلى ممباسة نوعاً من الرحلات الدبلوماسية فالوالي يمثل وجود الإمام.

كذلك من الأمور التي يجدر ذكرها أن ضعف الدولة اليعربية في عمان أدى إلى ضعف الأسفار والقدرة على التحكم في الممالك، والأمصار خاصة الممالك الأفريقية فلم يعد الولاة يقبلون تجشم الأسفار، ونذكر من ذلك رفض الوالي ناصر بن عبدالله المزروعي السفر لأفريقية لعدم قدرته على تجشم الأسفار من عمان إلى ممباسة ويشفع له في ذلك العذر كبر سنه[37].

إذن كان نصيب الرحلات في عهد الدولة اليعربية معلقاً بين حملات الجهاد وتوطيد الشؤون الداخلية للبلاد لذا لم يجد حظا وافرا في صفحات التأريخ، ودواوين الشعراء، ودروس العلماء، وأفل نجم الأسفار حينما بدت تسري الأنباء والأخبار بضعف الدولة اليعربية، ورفض مبعوثيها تجشم الأسفار للمالك التي تدين لها خوفاً من المصير المرّ.

وفي مقابلة مع مستشار وزارة التراث القومي والثقافة[38] أشار لاندثار العديد من الكتب والمخطوطات وانقطاع الأخبار عنها بسبب وفاة أصحبها أو من يحفظها ومن ضمن ذلك العديد من الرحلات التي قام بها العمانيون داخل عمان في فترة الدعوة للإسلام وفي حكم الدولة النبهانية واليعربية، وأشار لوجود رحلات يقوم بها العلماء والشعراء والأدباء للأئمة أو معهم إلا أن الظروف السياسية التي مرت بها عمان أدت لاندثار جزء كبير من التراث الأدبي لعمان ومن ضمنه ما يتعلق بالرحلات الشفهية أو المكتوبة.

(37) أنظر الخبر كاملاً في جهينة الأخبار ، ص207.
(38) مقابلة شخصية مع الشيخ محمود بن زاهر الهنائي: مستشار وزارة التراث والثقافة: سلطنة عمان، مسقط، 19فبراير 2008م.

ثالثاً: الرحلة في عهد الدولة البوسعيدية (مرحلة الازدهار والتطور)

تبدأ المرحلة الثانية التي تمثل ازدهار أدب الرحلات العمانية (إمبراطورية آل بوسعيد) التي قامت في الوطن الأم عمان والجزء الشرقي من الجانب الأفريقي في عام 1744م، حيث قامت الدولة البوسعيدية على يد الوالي أحمد بن سعيد عام 1744م، وقد كانت مسقط عاصمة لها، ومن ثم توسعت الدولة البوسعيدية حتى وصلت إلى أقصى الجنوب الشرقي الأفريقي وبالتحديد زنجبار، وقد استمر الحكم العماني فيها حتى عام 1384هـ/1964م.

كان للدولة العمانية الممتدة من الوطن الأم عمان وحتى شرقي أفريقيا دوران:

- الدور الأول والرائد في الجزء الآسيوي المتمثل في الوطن الأم عمان وعاصمتها مسقط.
- الدور الثاني والذي يمثل الحكم في الجزء الإفريقي وعاصمته الرائدة زنجبار.

شكل قيام الدولة البوسعيدية نقلة كبيرة في حياة أهل عمان وبدت دماء الحياة تسري في جسد الوطن الأم عمان بعدما أثقلتها جراح الفرقة والمعارك القبلية وتنفس الصبح بعد حياة خنقت أنفاسها الفتن الداخلية وادلهمت ظلمات الخوف من كل مكان.

بدأ الرحالة العماني ينظر لتلك الجبال الشامخة التي تحول بينه وبين الآخرين نظرة التحدي، فركب العمانيون مطايا الرحلة داخل البلاد، وتزودوا بحب السفر واكتشاف المناطق المحيطة بهم حتى أصبحت الرحلة سبيلاً لنيل الأماني من طلب العلم وكسب الرزق وفض الخصومات بين القبائل في كافة أنحاء عمان.

انتعشت روح الترحال وصار للرحلة متعة وأنسٌ وأدبٌ يرقى عند العمانيين وهدفا للوصال، وذلك بعد قرار السلطان سعيد بن سلطان الذي حكم (1219 - 1273هـ = 1806 - 1856م) بنقل العاصمة من مسقط إلى زنجبار في سنة 1259هـ/ 1832م ونقله المئات من العمانيين إليها[39]؛ فأصبحت الرحلة وسيلة بين الوطن عمان وبين الأهل والأقارب في زنجبار.

ويعد عصر البوسعيديين العصر الذهبي للوجود العماني في شرق أفريقيا؛حيث المؤثرات الحضارية عربيا وإسلاميا في قمة تألقها، ويعد عهد السيد سعيد بن

(39) الحارثي، عبدالله بن ناصر بن سليمان: دور آل بوسعيد في تنشيط الحركة الثقافية في عمان وشرق أفريقيا، ط1(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 2006)، ص 13.

سلطان (1804 – 1856م) أنموذجا رائعاً لازدهار الحضارة العربية التي أسهمت في ترقية وإثراء شتى جوانب الحياة في شرقي أفريقيا [40].

وتوالت الهجرات العمانية إلى زنجبار، فالحياة في تلك الديار كانت ميسرة وبسيطة ومريحة في آن واحد، وكانت الحياة مستقرة وآمنة، فكانت زنجبار بذلك أمل الوافد ومنهل الوارد؛ فقصدها الأعيان ووفد إليها ثلة من شيوخ العلم والشعراء والعلماء والأدباء، رغم أن زنجبار وقتئذ قد انفصلت عن القطر الأم من الإمبراطورية العمانية؛ إلا أنه نظراً لكون سلطانها عماني الأصل، محافظاً على العادات والتقاليد العمانية؛ فلم يجد العمانيون غضاضة في الارتحال إلى زنجبار والاستقرار فيها.

هذا النمط الهادئ من الحياة كانت تقابله في عمان حياة ملؤها الشظف والضنك والتمزق؛ نتيجة الحروب القبلية الطاحنة لأتفه الأسباب فتمزق جدار السلام الاجتماعي[41]؛ مما دفع الكثير من العمانيين للهجرة نحو وطن يكفل لهم الأمن والاستقرار فولوا وجوهم شطر زنجبار.

ويذكر الكاتب ناصر بن عبدالله الريامي في كتابه «زنجبار شخصيات وأحداث» أن الهجرات العمانية استمرت تتوالى على زنجبار ويعقب قائلاً: «استمرت حركات الهجرة، وتصاعدت حدتها بشكلٍ ملحوظ، ولفتت الانتباه سيما في الحقبة الزمنية لتقسيم الإمبراطورية العمانيةعام 1860م»[42]، ويعلل هذا التدفق المتواصل على زنجبار قائلاً: «نتيجة لتراجع الوضع الاقتصادي في عمان من سيء إلى أسوأ»[43].

لقد تضافرت عوامل عديدة وأسباب قوية جعلت من الشرق الأفريقي للدولة العمانية مركزاً يستقطب الرحالة العمانيين، الأمر الذي جعل الكثيرون يهاجرون إلى زنجبار تاركين الوطن الأم.

اجتمعت هذه العوامل لتشكل أدباً جديداً تحرر شهادة ميلاده في الشرق الأفريقي، حاملاً الجنسية العمانية.

(40) الريس، رياض نجيب : صحافي ومدينتان رحلة إلى سمرقند وزنجبار، ط1 (رياض الريس للكتب والنشر، 1997م). ص 289.
(41) الريامي، ناصر بن عبدالله: زنجبار شخصيات وأحداث (1828 - 1972)، ط1. (لندن : دار الحكمة، 2009م)، ص43.
(42) المصدر نفسه، ص43.
(43) المصدر نفسه، ص43.

أسباب ازدهار أدب الرحلات في الدولة البوسعيدية:

فقد ترعرع أدب الرحلات العمانية في المهجر الأفريقي وانتعشت روحه بالكتابة والتدوين، ومن العوامل والأسباب التي أدت لازدهار أدب الرحلات العمانية، الآتي:

أولا: الأسباب السياسية

عاش العمانيون حروباً طاحنة بين القبائل وعانوا من انهيار جدار السلام الاجتماعي بين القبائل والخوف من الترحال بسبب انعدام الأمن وانتشار قطاع الطرق، ولزوم كل فرد منطقته التي يعيش فيها.

وحين اتسعت إمبراطورية الدولة البوسعيدية تبدلت أحوال الحياة وتوجه العمانيون نحو الشرق الأفريقي وفتحت أمامهم أبواب السفر، وأشرقت شمس الكون على فرص جديدة لحياة هانئة سعيدة، وتجددت آمالهم وتوجهت عزائمهم للحياة في الجزء الأفريقي من الدولة البوسعيدية.

اختيار السيد سعيد بن سلطان زنجبار في العام 1833م لتكون عاصمة لشرق أفريقيا جعلها مركزا لاستقطاب المسافرين، حيث نجح السيد سعيد في تطويرها من جزيرة متواضعة لتكون مركز إشعاع سياسي واقتصادي، واستطاع العمانيون ترسيخ حكمهم في أفريقيا. وأصبحت الدولة العمانية في شرق وأواسط أفريقيا تفرض نفوذها وسيطرتها الحكيمة فكان لذلك الحكم صدى على المستوى العالمي وخصوصا في مجال السياسة الخارجية.

ومن ثمار السياسة الخارجية رحلة السفينة "سلطانة" إلى الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة السفير أحمد بن نعمان الكعبي في صبيحة الخميس 30 من إبريل 1840م[44]، وقد كتب أحمد بن النعمان عن رحلته للولايات المتحدة في دفتره الخاص وبخط يده وذكر تفاصيل كثيرة منذ نقطة الانطلاق وحتى العودة وتفصيل هذه الرحلة مذكور في كتاب جهينة الأخبار[45]؛ كما تميز حكم الدولة

(44) أيلتس، هرمان فريدريك: سلطانه في نيويورك أولى رحلات الأسطول العماني لأمريكا 1840م، ط5 (وزارة التراث القومي والثقافة : سلطنة عمان، 2005م)، ص5.

(45) المغيري، سعيد: جهينة الأخبار، ص 266- 270.

البوسعيدية في شرق أفريقيا بالاستعانة بعدد كبير من المستشارين والعلماء في كافة الميادين وهذا سبب مهم لقيادة الدولة سياسياً وتطور مقوماتها المختلفة.

ثانياً: الأسباب الجغرافية

إن الموقع الجغرافي لعمان في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية جعلها من أقرب البلدان إلى الساحل الأفريقي مما حدا بالعمانيين أن يولُّوا وجوههم تجاه ذلك الساحل والسفر إليه واتخاذ أفضل موقع فيه (زنجبار) عاصمةً لهم.

ثالثاً: الأسباب الدينية

هجرات الكثير من العلماء والفقهاء الذين استقروا في المجتمع الإفريقي، بالإضافة إلى قوة العلاقة بين العلماء والفقهاء بالحكام البوسعيديين من أهم المؤثرات التي أكسبتهم قدرا كبيراً من الشرعية بحكم تأثير هؤلاء العلماء على المجتمع الأفريقي؛ مما أدى لازدهار الرحلات الدعوية في زنجبار؛ حيث قام العمانيون في القرن التاسع عشر الميلادي بمهمة نشر الإسلام في شرقي أفريقيا.

رابعاً: الأسباب الاقتصادية

من أهم العوامل التي وجهت العمانيين إلى الساحل الشرقي لإفريقيا درايتهم الواسعة بما تحويه هذه المنطقة من خيرات وفيرة، وانتعاش التجارة في زنجبار، وارتفاع مستوى المعيشة، فمن الأسباب التي دعت السيد سعيد نقل عاصمته إلى زنجبار حاجته إلى موقع تجاري على طريق رأس الرجاء الصالح بالإضافة إلى وفرة الإنتاج في زنجبار.

خامساً: الأسباب الثقافية والأدبية

قام العمانيون بدورٍ رائدٍ في نشر العلم والتعليم وازدهار الحركة العلمية والأدبية في زنجبار حتى أصبحت في القرن التاسع عشر ملتقى للعلم وطلابه ومركز إشعاع

للمناطق الساحلية والبر الأفريقي؛ لذا توجه إليها الرحالة وتدفقوا عليها كالسيل المنهمر من أفريقيا، ومن المناطق النائية، والهند الشرقية، ومن عمان كل له طموحه في نيل حظ وافر من تلك الثروة الثقافية والأدبية وشهدت زنجبار اهتماما كبيرا بالحياة الأدبية تمثل في وجود المطبعة والصحافة التي وفرت مناخاً مناسباً لتطور الشعر وانتشاره وتسهيل وصوله للجماهير.

لذا أثمر الوجود الرسمي للعمانيين ظهور مجالس الأدب في كنف السلاطين، فمن ضمن البرنامج اليومي للسيد برغش جلوسه بعد صلاة المغرب في مجلس تقرأ فيه الكتب الأدبية، وتنشد فيه الأشعار، كما أثمرت علاقة الشاعر أبي مسلم البهلاني، تخليده كتابة لرحلة قام بها إلى الأقطار الأفريقية مع السيد حمود بن محمد بن سعيد البوسعيدي وقد أسماها «اللوامع البرقية»(46).

تأثر العمانيون بالنهضة التي قامت في الجانب الشرقي لأفريقيا مما جعل زنجبار محطة جذب لكثير من الرحالة العمانيين، وفي الوقت نفسه كان للعمانيين تأثير على أهل زنجبار، وبلغ من تأثير العمانيين الثقافي أن الأفارقة قاموا برحلات إلى عواصم إسلامية مثل: (مكة - المدينة -عدن) طلباً لعلوم الدين والثقافة الإسلامية واستجابة لمطالب انتمائهم العقدي الجديد، فقد رحل السلطان أبو المواهب (1308 - 1334هـ) قبل ارتقاء عرش كلوة إلى مكة وعدن لطلب العلم.

سادساً: الأسباب البيئية

جمال الطبيعة وخضرة المنظر في البيئة الجديدة دفع الشعراء للتفاعل مع البيئة الجديدة فلاح ذلك في الأغراض التي تناولوها وكان على رأسها الوصف والرحلات.

فقد ارتبط الوصف بصفته غرضاً أساسياً في الشعر العربي بالطبيعة غالباً، أي أنه نتاج تفاعل الشاعر تأثراً وتأثيراً بما حوله من موجودات، وكذا الأمر بالنسبة لشعر الرحلات فقد كان الدافع لهذه الرحلات هو إتاحة الفرصة للطبيعة الجميلة كي تفعل فعلها في النفوس فإذا ما كانت النفس نفس الشاعر فإن التأثير يكون متبادلاً فهي تثير

(46) الرواحي، ناصر بن سالم بن عديم؛ اللوامع البرقية في رحلة مولانا السلطان المعظم حمود بن محمد بن سعيد بن سلطان بالأقطار الأفريقية، ط1،(سلطنة عمان : وزارة التراث والثقافة، 1983).

كوامن النفس عنده، وهو يخلدها في رحلاته المكتوبة بـ"الوصف التفصيلي".

لقد كان للطبيعة الجميلة في زنجبار بالإضافة إلى توفر وسائل النقل المختلفة المتطورة والمريحة دور في تطور الرحلات السياحية والخلوية.

ويمكن القول: إن أدب الرحلة تأسس من اللحظة التي انتقل فيها السيد سعيد إلى زنجبار ونقله الكثير من العمانيين؛ فقد تبلورت ملامح أدب الرحلات، وبدأت الحياة تسري في عروقه، وانتعشت أوصاله في ظل الحياة الخضراء والمعيشة الكريمة. فقد أسهمت حكايات المسافرين للوطن الأم عمان ومنظومات الشعراء ونثر الأدباء لرحلاتهم في تأسيس أدب الرحلات، فقد رحل من وإلى الشرق الأفريقي العديد من الشعراء والأدباء؛ بل إن ألمع الأدباء عاشوا حياتهم في المهجر وانطلقت قريحتهم الشعرية بوصف رحلاتهم التي خلدها قلم التاريخ على صفحات الأيام في سجل الزمان، ومن بين أولئك الشعراء النابغين ناصر بن سالم بن عديم الرواحي الذي هاجر إلى زنجبار ونظم رحلته مع أحد سلاطينها، وكذلك القاضي قسور بن حمود الراشدي، والشاعر سعيد بن غابش النوفلي، وقد نظم الكثير من الشعراء العمانيين أراجيز يصفون فيها ما تم من رحلات، سواء داخل الوطن أو خارجه.

ويمكن إجمال أسباب ازدهار الرحلات في المهجر الأفريقي تمثلها في البحث عن الحياة الكريمة والعيش في كنف الأمن والاستقرار بالإضافة إلى حب السفر، والتمتع بجمال الحياة في زنجبار أو التنزه أو زيارة الأهل والأقارب والأصدقاء المهاجرين للشرق الأفريقي، ويمثل هذا الاتجاه الأغنياء وأصحاب الثروة من العمانيين ولكن السمة الغالبة أنهم امتطوا الرحلة بحثاً عن المكان الرحب الذي يعالجون فيه وضعهم الاقتصادي.

تعددت الدوافع الخاصة والعامة للرحلة إلى زنجبار، وقد كانت المرآة التي تعكس مشاعر العماني المسافر إلى زنجبار الرحلات الشعرية، التي تصف دوافع السفر وهواجسه ومخاوفه المتعددة وألم الغربة في السفر والبعد عن الوطن الأم، لكن لم يحالف الحظ كل من حدثته نفسه بالسفر، فقد كانت الرحلة جميلة لمن يملك المال ويملك الراحلة، فالحياة في الشرق الأفريقي كانت الاختيار السهل للموسر والاختيار الصعب لمن يكابد ظروف الحياة.


الفصل الثاني

دوافع الرحلات العمانية

تشغل الرحلة مكاناً مميزاً في الثقافة العربية؛ فقد تضافرت دواع ، وأسباب مختلفة حضّت الناس على الرحلة، ويسرت أمرها، فكثرت الرحلات وتنوعت بتنوع حوافزها ومقاصدها العلمية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وراج أدب الرحلة الذي استهوى قراءه وأمتعهم بما كان يعرض من المشاهد والآثار المجهولة، والعجائب المشوقة التي يصفها وصف معاينة، وبما كان يصور من عادات الناس وأخلاقهم ومشاعرهم تصويراً يبث الحياة والحركة، وحفلت المكتبة العربية بمختلف أنواع الرحلات، فرحلة تصف الأقاليم وما حوت من الغرائب، ورحلة يهفو صاحبها إلى زيارة البيت العتيق، ورحلة مطلبها الأول لقاء العلماء ومذاكرتهم والأخذ عنهم، ورابعة للسفارة وربط أواصر المحبة والصداقة، وخامسة ترتاد المجهول من البقاع حبا للمعرفة وسعياً وراء التجارة والربح، أو تطلعاً إلى نشر الدين، أو بسط النفوذ والسلطان، وتمور صفحات هذه الرحلات بالجليل من الفوائد التي «ترسم جوانب مهمة من حياة الشعوب وطباعها وعاداتها وتقدم وثائق وشواهد حية لما كانت عليه الحضارة العربية في مختلف عصورها»[1].

ويشير جان تيفينو (Jean thevenot) في كتابه "رحلة إلى المشرق"، إلى أن "حب السفر كان دائماً أمراً طبيعياً لدى الساعين إلى ما هو حسن ونافع، والراغبين في أن يكونوا على ذلك شهوداً ومشاهد؛ لهذا اختلفت حوافز الرحلة إجمالاً"[2] وتتلخص حوافزالرحلة العربية بصورة عامة في أمور عدة:

---

(2) العبدري،محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود: رحلة العبدري، ط1 (دار سعد الدين للطباعة والنشر :دمشق، 1999م)، ص1.
(2) زيتوني، لطيف: « السيميولوجيا في أدب الرحلات» مجلة عالم الفكر، م (24)، العدد(3)، 1996م، ص 258.

أولاً: الضرورة.

وهي أقدم الحوافز البشرية على الرحيل؛ فقد دعت طبيعة الحياة الصحراوية الإنسان العربي للرحيل بحثاً عن الحياة الهانئة، أو هروبا من مصيبة كالظلم أو الحروب القبلية وويلات، ونكبات الدهر المختلفة كالمجاعة والضوائق الاجتماعية كلها كانت سبباً في رحيل الإنسان.

وما رحلات الكثير من الرحالة العمانيين إلى شرقي أفريقيا إلا للضرورة فقد أجبرتهم طبيعة الحياة وقسوة العيش أن يتركوا الوطن والبحث عن حياة هانئة يتنعمون فيها بالدعة والراحة.

كانت الرحلة وسيلة للنجاة من الفقر وضنك الحياة، ومن الذين رحلوا بسبب ضيق العيش الذي حل بهم وبغيرهم من أهل عمان، ومن الذين رحلوا داخل عمان وخارجها بحثا عن الحياة الكريمة الشاعر عبدالله بن ماجد الحضرمي[3]، فقد عاش متنقلاً بين فرق والمعمور وسمائل، ومن ثم سافر إلى زنجبار، وعلى كثرة أسفاره وتنقلاته فلا توجد رحلات مدونة للحضرمي[4].

وكذلك الشاعر سعيد بن عبدالله بن غابش النوفلي[5]، حيث سافر إلى شرق أفريقيا، ونزل أولاً بزنجبار ثم إلى البر الجنوبي وهناك بقي قرابة أحد عشر عاماً متنقلاً بين تلك الأرجاء، وقد بسط ذلك في أرجوزته الرائعة (الرحلة الأدبية إلى الأقطار الأفريقية)، وهي أطول منظومة في أدب الرحلات العمانية، وتتألف من ثلاثمائة وثمانين بيتاً، ومطلعها[بحرالرجز] [6]:

---

(3) عبدالله بن ماجد بن ناصر الحضرمي(و: العقد الثاني من ق 14 هـ/ 20م - ت: 1397هـ/1977م) مقرئ ضرير وأديب شاعر، له ديوان شعر «ديوان الحضرمي»، انظر السعدي، ج2/ 265.

(4) العيسري، خلفان بن عامر: ديوان الشيخ عبدالله بن ماجد الحضرمي ترجمة لحياته وتحقيق لشعر، ط 1(مسقط:دار الكتاب الإسلامي، 2005م)، ص25.

(5) سعيد بن عبدالله بن غابش النوفلي الحبشي (و: 1330هـ/1912م - ت: الأربعاء 27 محرم 1423هـ/10 إبريل 2002م)، مدرس شاعر، ولد بالقابل، نشأ في كنف والده الشيخ عبدالله بن غابش، له العديد من المؤلفات أهمها: الزبرجد، قطوف البلاغة، ديوان وحي القريحة. انظر السعدي، ج1/175، 176.

(6) النوفلي، سعيد بن عبدالله بن غابش: ديوان وحي القريحة، ط1، 2000م، ص 151.

حمـداً لمـن مـنّ علـى العباد بالضـرب فـي مناكـب البلاد
ليبتغـوا مـن فضلـه ومنّـه ويرتجـوا مـن جـوده وعونـه
ثـم صـلاة الله تغشـى أحمـدا مـع سـلامة تعالـى أبـدا

وله منظومة بديعة كتبها في رحلة الرجوع من زنجبار إلى بلده (ولاية القابل) بالمنطقة الشرقية، والمسماة بـ «الرحلة الآخروية»، ومطلعها[بحر المتقارب][7]:

مضـى بسـبيل الفنـا الأولونـا ويمضـي علـى نهجهـم آخرونـا
تسـير الظعـون بنـا مسـرعات فحادي المنون يسوق الظعونا

ولكن هيهات أن تنسي الحياة الجديدة من رحلوا لزنجبار الوطن الأم فتجد الحديث عن الوطن الأم في رحلاتهم، إذ تتجلى في رحلاتهم معاني الاغتراب واللحظات الفاصلة بين فرح اللقاء الطويل لمن تمكن من العودة ومرارة الفراق لمن بقي حالماً بالإياب إلى عمان، أما البعض الآخر فقد وجد في الحياة وترفها سلوة عن الوطن الآخر وتعزى بالتكيف مع الوطن الجديد والحياة الخضراء.

ثانياً: العامل الديني

يمثل العامل الديني السبب الرئيس للرحلات بعد انتشار الإسلام، والدليل على ذلك ازدهار أدب الرحلة إلى الديار المقدسة أكثر من غيره فأغلب الرحلات المشهور كان الدافع منها العامل الديني (أداء فريضة الحج) وزيارة الأماكن المقدسة، فالحج كان وما زال رحلة يتشوق إلى أدائها كل الناس وليس العلماء والفقهاء فقط، ونتيجة ذلك فقد اكتسب الحج صفة تراثية شعبية، ويقتضي هذا العامل زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام والمزارات الدينية الأخرى في مكة

(7) المصدر نفسه، ص 55.

والمدينة وسيجد الباحث في الرحلات الحجازية أنها تمثل أدباً راقياً، قديماً قدم الشعائر الدينية المفروضة على العباد. وسيجد الباحث في أدب الرحلات العمانية أن النصيب الأوفر من رحلات العمانيين كان إلى بلاد الحجاز فليس هناك رحالة عماني حالفه الحظ في رحلاته لم يولِّ شطر وجهه لتلك الديار إلا من كان الأجل المحتوم أسبق إليه من تحقيق أمنيته.

ثالثاً: العامل الثقافي (طلب العلم)

حث الإسلام على طلب العلم والرحيل في طلبه؛ لذا كان من أهم دواعي الرحلات طلب العلم والمعرفة فرحل الصحابة والتابعون ومن جاء بعد في طلب العلم، أما في وقتنا الحاضر فتمثل البعثات العلمية هذا النوع من الرحلات، ويعد هذا النوع واسطة احتكاك بين الثقافات المختلفة من جهة وأداة تفاعل من جهة أخرى. وكان طلبة العلم دائماً أكثر من غيرهم قدرة على تنشيط الحوار بين الثقافات وعلى تمكين الشعوب من الإفادة من بعضها البعض.

رابعا: السفارة

تعد السفارة نوعاً من الرحلة الرسمية، يوكل بها الرحالة من قبل الحكام ورسالة يتنافس في أدائها من يكلفون بها مهما كلفهم الأمر من تضحيات، إذ كانت تقترن في نفوسهم برفعة وعلو شأن الدولة الإسلامية، فالسفير عنوان دولته، وكانت السفارات لا تنقطع بين الدول العربية وما جاورها من الدول غير العربية، بقصد الصلح وفك الأسرى، أو لتصفية الأجواء السياسية، وقد تكون وليدة علاقات دبلوماسية أو تقاليد لربط العلاقات السياسية، وليس هذا وحسب؛ بل لعبت دوراً ملحوظا في توسيع نطاق المعلومات الجغرافية.

خامساً: العامل الاقتصادي

كانت التجارة منذ قديم الزمان أمراً يقتضي القيام بالرحلة والسفر البعيد والسعي في سبيل الكسب براً وبحراً؛ فالعالم العربي بحكم توسط موقعه بين قارات العالم القديم، كان مركزاً لالتقاء الطرق التجارية بين هذه القارات، فالرحلات التجارية كانت من أهم الأسباب التي أدت إلى ازدهار أدب الرحلات وذلك عن طريق تدوين وصف البلدان والمسالك التجارية والممرات البحرية، وتشير الأبحاث إلى أن أول رحالة عماني وصل إلى الصين التاجر أبو عبيدة عبدالله بن القاسم وعاش في مدينة (كانتون) في النصف الأول من القرن الثاني الهجري[8].

سادساً: العامل السياحي

كان هدف بعض الرحلات البحث عن الحرية والتطلع إلى ما وراء الحيز المكاني، حيث المهم هو السفر لا البلد الذي نرحل إليه، والرغبة في اكتشاف المجهول، والمتعة في الانطلاق، وقد امتدت الرحلة لتتجاوز ركب الحجاج أو المهام الرسمية، أو طلب العلم فينتهز الرحالة الفرصة مدفوعاً بروح المغامرة ليتجول في البلاد التي اتسعت رقعتها، وشاع الأمن في أكثر أنحائها؛ يريد أن يرى كل شيء، ويجرب كل شيء، فتسفر نتائج هذه الرحلات عن زيادة المعرفة التي تحققها في سبيل خير الإنسان، فتكون ذات فائدة تتجاوز حدود التشويق والتسلية «وما ذلك إلا لإيمان الرحالة إيماناً عميقاً بالفوائد الثَّرة التي تمنحها الرحلات للقائمين بها»[9]، وعليه، فقد تجتمع أسباب في رحلة ما، دينية، وسياحية، وسفارية.

---

(8) المحروقي، محمد:»رحلة في مخطوط عماني»، مجلة نزوى، العدد (47)، 2006م، ص 9.

(9) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ): انظر في فوائد السفر، تهذيب إحياء علوم الدين، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت:مؤسسة الكتب الثقافية، 1988)، 1/250.

سابعا : العامل الذاتي

ربما يرتبط العامل الشخصي بالعامل الديني، فقد زار الرحالة أبو الحارث البرواني في رحلته سنة 1914م بيت المقدس، ووصف المسجد الأقصى،وما حوله وصفاً دقيقاً، وتحدث عن قبة الصخرة ووصفها بأنها «قبة عظيمة»[10].

إن دوافع الرحلة تعددت وتداخلت لتأتي بجملة متكاملة من العوامل، ليجتمع بعضها، كاجتماع العامل الديني والثقافي، أو الديني والاقتصادي، أو الديني والعامل الشخصي، وهي وإن تعددت فإنها لم تخرج معظمها عن الجمع بين أداء فريضة الحج وطلب العلم والمعرفة الدينية، فجاءت نسقاً متكاملا مع كل النشاطات الإنسانية بكل أبعادها، ولتساهم في إبراز أدب الرحلات على مر العصور، ورحلات العمانيين عبر العصور المختلفة جزء من هذه الرحلات فلا يوجد اختلاف كبير في الدوافع الأساسية للرحلة وأغراضها على تنوعها؛ إلا أن هناك اختلافاً بسيطاً في ظهور دوافع جديدة للرحلة منها (الرحلات القضائية والرحلات الصحافية)، والباحث في أدب الرحلات العمانية يجد أن دوافع الرحلات عند العمانيين لا تختلف في موضوعاتها كثيراً عن دوافع الرحلة في الأدب العربي، وهي تتوزع بين رحلات شعرية وأخرى نثرية .

ويأتي حديث البحث يخص الدوافع المختلفة في رحلات العمانيين ليبسط لنا صفحات هذا الأدب.

دوافع الرحلات العمانية:

شكل الدافع الأعظم والعامل الأوثق ، الدافع الديني فالعمانيون مثلهم مثل الرحالة العرب؛ فقد شكلت الرحلات الدينية الهيكل العام الذي قامت على إثره رحلات ورحلات من قديم الزمان وحتى العصر الحديث وقد أثمر توسع الدولة

(10) البرواني، محمد بن علي؛ رحلة أبي الحارث،ط1، (مطبعة النجاح: زنجبار، 1914م)، أنظر وصف رحلته إلى القدس ص 49، 54.

البوسعيدية في العصر الحديث حتى وصلت للشرق الإفريقي عن رحلات جديدة كالرحلات السياحية والدبلوماسية وتنوعت الدوافع بتطور الأوضاع السياسية والاقتصادية في عمان فكشفت التراث الوثائقي(المخطوطات) والدواوين المحققة عن أدب يستحق أن يكون له الصدارة في جملة الآداب المختلفة وتبلور هذا الأدب في الرحلات المتنوعة والتي تتمثل في الآتي:

أولا: الرحلات العمانية الدينية

تطمع النفس الإنسانية في الانتقال من موضع لآخر ومن مكان إلى سواه في رحلة ما قصيرة أو طويلة لتتعرف على ما لا تعلم، وتكشف ما لم ترَ في هذا الوجود، لتأخذ دروساً وعبراً من الجديد ومن المحال أن يطلب في السفر نعيم أو لذة راحة، إنما ذلك بعد انتهاء السفر؛ ولكن السفر إلى الله تعالى مختلف جداً، فالسفر في مرضاته يبعث اطمئناناً، وفي النفس راحة، ولو تعبت الأبدان ولاقت صعاباً، ومشقاتٍ.

وأروع السفر وأعظمه هو السفر لأداء الحج؛ لذا تجد أغلب الرحالة العمانيين شدوا الرحال على ظهر المطي قديماً وساروا عبر الفيافي والقفار لتلبية نداء الخليل إبراهيم – عليه السلام- طوت أشواقهم بعد المسافات وتبتلت قلوبهم لطيب الرحمات واستأنسوا بالله في أسفارهم وبالرفقة الصالحة زاداً لأسفارهم.

أما في العصر الحديث فتجد قوافل المسافرين براً بالحافلات، وتشاهد المطارات ازدحمت بالمسافرين لبلاد الحجاز في موسم الحج بهدف أداء فريضة الحج والعمرة وزيارة الأماكن المقدسة.

ويزخر أدب الرحلات العمانية بجملة من الرحلات الحجازية المتميزة لعدد من الرحالة الذين كان لهم الحظ الأوفر في تدوين رحلاتهم، فمنذ عصر صدر الإسلام رحل العديد من العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء وعوام الناس بالإضافة إلى رحلات الحكام والسلاطين إلى تلك الديار المقدسة، وتنوعت رحلاتهم المدونة بين الشعر والنثر، ومن أقدم الرحلات العمانية الحجازية المكتوبة، رحلات العلماء والفقهاء، ومنها:

1 - رحلة مداد بن محمد الناعبي: [11]

من علماء القرن الثالث الهجري/النصف الثاني من القرن التاسع الميلادي ورحلته يصف فيها مسيره إلى الحج وتتألف من أربعة وخمسين بيتاً، وينعت مكة بـ»ليلى» في مقدمة طللية، قائلاً [بحر المتقارب] [12]:

أجـد بنفسـك تكذابهـا ... وتسآلها وتعرابهـا
وأنـي لنفسـك أنـي لهـا ... تكلـف ليلـى وتطلابهـا
وعهد مضـى لك فـي الطيباتا ... وقدمـاً تقضيـن آرابهـا

ثم يوضح وجهته ويحدد قصده في رحلته، ويبدو أنه زار المدينة المنورة قبل مكة المكرمة قائلاً[بحر المتقارب] [13]:

وكان إلى سـيد المرسلين ... وخيـر البريـة ألبابهـا
إلى هاشـمي به رجرجت ... حنـاة القلـوب وأورابهـا
محمـد الطهـر خيـر الـورى ... إذا رفـع العـرب أحسـابها

2 - رحلة موسى بن محمد الكندي: [14]

عاش في القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، ورحلته كانت إلى الحج وهي تتألف من أربعة وثلاثين بيتاً، يصف استعداده للرحلة وتجهيز حقيبته، والوسيلة التي سيرحل عليها(مطيته)وتركه لأهله ومنزله وتجشمه السفر للقاء البيت

(11) مداد بن محمدبن مداد بن فضالة الناعبي(حي 839هـ/1436م) عاش في القرن التاسع الهجري؛ من ولاية نزوى، ومن آثاره الأدبية: قصيدة في ذكر حملة المذهب الإباضي تقع في مائة بيت.... انظر السعدي: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، ط1(مكتبة الجيل الواعد :سلطنة عمان، 2007م، ج3/182.

(12) البطاشي، سيف بن حمود بن حامد: إتحاف الأعيان في بعض علماء عمان، ط2(مكتبة المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، 2004م)، ج-2/72 75.

(13) البطاشي، سيف :إتحاف الأعيان في بعض علماء عمان، ج2/73.

(14) موسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد الكندي(9هـ/15م): فقيه شاعر عاش في القرن التاسع الهجري، من بلدة سمد من أعمال نزوى، من آثاره العلمية «جلاء البصائر» و «ديوان شعري» أكثره في الزهد والمواعظ به تمزق شديد. انظر السعدي انظر السعدي: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، 3/234.

العتيق قائلاً [بحر الوافر] [15]:

هجرت منازلي وتركت آلي ... وهيّجتُ الهجان إلى الزيال
وقربت القلوص وقلت إيهٍ ... هلموا بالحقيبة لارتحالي
وودعت الأحبة فاستهلت ... مدامعها بدمع كاللآلي

وفي رحلته إلى البيت العتيق، زار مكة المكرمة ومن ثم عطف وجهته إلى يثرب مقر الحبيب محمد ﷺ، ويبدو من سرده لرحلة المدينة أنه تعرض لقطاع الطرق، لكنه استطاع التخلص منهم والنجاة بفضل الله عليه حيث يسرد ذلك قائلاً [بحر الوافر] [16]:

وقلت بيثرب شجني وحبي ... سأبلغه بعزم واحتمال
وخلصني المليك من الأعادي ... ومن وخز الأسنة والنبال
وزرت المصطفى خير البرايا ... ودمعي فوق خدي كالغزال

ورحلات الكندي إلى الديار المقدسة توضح إصراره على بلوغ الهدف الأسمى (زيارة الأماكن المقدسة)، والحديث عن استعداده في هذه الرحلات ينبئ عن درايته بأهمية الاستعداد للقاء البيت العتيق.

3 - رحلة عبدالله بن عمر بن زياد البهلوي:[17]

وهو من فقهاء القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي، ورحلته كانت إلى الحج فنظمها في قصيدة تتألف من مائة وأحد عشر بيتاً، ومطلعها [بحر الطويل] [18]:

15 () البطاشي،سيف:إتحاف الأعيان في بعض علماء عمان، ج2/174.
(16) المصدر نفسه، ج2/175.
(17) عبدالله بن عمر بن زياد بن أحمد الشقصي البهلوي (حي: شعبان 983هـ/نوفمبر 1575م)، فقيه وقاض، وناظم للشعر نعاش في القرن العاشر الميلادي من ولاية بهلاء، له قصائد في الأديان والأحكام، وقصائد بديعة ذات أغراض متعدده.انظر السعدي: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، 2/280.
(18) البطاشي،سيف:إتحاف الأعيان في بعض علماء عمان، 2/330.

أرى طيف من أهواه زار وسلما ... وأزعج ناراً في الفؤاد وأضرما

وهيج تبريحاً وشوقاً ولوعة ... وجدد تذكاراً به كان مكتماً

تهل انسكاباً عبرة بعد عبرة ... بفقد الذي أهواه والقلب وصما

4 - رحلتا عبدالله بن محمد بن أحمد المعيني نسباً والمجزي موطناً [19]:

له قصيدتان في رحلتيه إلى البيت الحرام لأداء الحج، رحلته الأولى عام 1344هـ، وهي منظومة تتألف من سبعة وأربعين بيتاً، ومطلعها [بحر الطويل] [20]:

إلى أين هذا الركب أمت ركايبه ... وجادت بأصوات الحداة نجايبه

وما هذه الأعلام تنشر فرحة ... بأيدي رجال تقتفيها كتايبه

إلى مهبط الوحي الذي تمّ ضوءه ... وعم جميع العالمين رغائبه

أما الرحلة الثانية للحج، فهي في منظومة تتألف من ثلاثة وعشرين بيتاً، مطلعها[بحر الطويل] [21]:

لأم القرى حنت ركابي وأمت ... لأحظى بها من وجه ليلى بنظرة

سباني هواها فأتمرت لأمرها ... ولولا هواها ما هممت بزورة

كتمت هواها بالحشى واتخذته ... أنيس فؤادي في مقامي ورحلتي

وتوالت الرحلات العمانية إلى بلاد الحجاز، ومنها رحلات الحكام والسلاطين وأشهرها:

1) رحلة السيد سعيد بن سلطان إلى مكة للحج في عام 1239هـ/1824م، والتي استقبل فيها استقبالاً حافلاً من قبل الوالي التركي، وشريف مكة وممثل محمد

(19) عبدالله بن محمد بن أحمد بن عبدالله المعيني نسباً والمجزي موطناً والشافعي مذهباً، ولد ببلد مجز الصغرى من ولاية صحم، وأخذ العلم من الشيخ العالم حبيب بن يوسف (ت: 1329هـ)، وبعد وفاته صار خليفته في التدريس والفتوى، وهو من علماء القرن الثالث عشر الهجري. أنظر: الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز :الزمرد الفايق في الأدب الرائق، ط2(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 2006م)، 2/273.

(20) البوسعيدي، حمد بن سيف بن محمد: قلائد الجمان في بعض أسماء بعض شعراء عمان، مسقط، (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1993م)، ص 272.

(21) المصدر نفسه، ص 275.

علي باشا والي مصر[22].

وكان سفره على ظهر السفينة (ليفر بول)، وقد انتظرت هذه لكي تعود به إلى عمان وقد ذهب مرة أخرى إلى مكة عام 1255هـ/1840م مع القاضي محي الدين، وكان سفره بالباخرة (بيدمونتيس)[23].

2) رحلة السلطان برغش بن سعيد برفقة السيد حمود بن أحمد بن سيف البوسعيدي فقد انطلقت الرحلة من ميناء بندر زنجبار في يوم 25 من شوال سنة 1288م الموافق له 8 يناير 1872م، متوجهون لأداء فريضة الحج[24]، كما يؤكد الكاتب أنهم متوجهين للحجاز لأداء فريضة الحج وهدف الرحلة «إحياء شعيرة السياحة التي هي من سنن الأنبياء، وفيها تضرب الأمثال والعبر»[25].

وهناك العديد من رحلات الأدباء والعلماء والشعراء في نهاية القرن التاسع عشر وفي القرن العشرين، وأشهرها:

1 - رحلة محمد بن علي بن سعيد الشرياني النزوي[26]، فقد نظم رحلة إلى البيت الحرام تتألف من اثنين وستين ومائة بيت، حيث يقول[بحر المتقارب] [27]:

إلى الله أخلصت ديني وإنّي	أقر له بعبوديتي
وأني عبد ضعيف ذليل	وربي ذو العز والقوة
تعالى إلهي سبحانه	عن الضد والند والشركة

2 - رحلة الشاعر عبدالله بن علي الخليلي[28] إلى البيت الحرام لأداء فريضة الحج

(22)الفارسي، عبدالله بن صالح (قاضي قضاة كينيا): البوسعيديون حكام زنجبار، ط2 (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة) ص148 - 149.

(23) المصدر نفسه، ص149.

(24)البوسعيدي، حمود بن أحمد بن سيف:الدر المنظوم في محاسن الأمصار والرسوم، تحقيق محمد المحروقي، ط1(سلطنة عمان :وزارة التراث والثقافة، 2006م)، ص4.

(25) المصدر نفسه ، ص4.

(26) محمد بن علي بن سعيد الشرياني النزوي (و: 29 محرم 1347هـ/18 يونيو 1928م، ت: صباح الثلاثاء 2 شعبان 1418هـ/3ديسمبر 1997م)، قاض فقيه وشاعر بليغ، من آثاره: مرآة الزمان في حياة قابوس وعمان. انظر السعدي، 2/344.

(27) الخصيبي، محمد: شقائق النعمان، 3/381.

(28) عبد الله بن علي الخليلي الملقب بأمير البيان (و: 1341هـ/1923م، ت: 28 ربيع الثاني 1421هـ/31 يونيو 2000م) ترك دواوين في الأدب (وحي النهى، وحي العبقرية)، وكتبا في الفقه (بين الفقه والأدب). انظر السعدي ج1/256، 257.

عام 1393م، وهي منظومة تتألف من مائة وعشرين بيتاً، مطلعها [بحر الطويل] [29]:

هــو الجدُّ حتى تستبين جدود ، هو الجد حتى لا تعــوق حدود

هــو الجد حيث القصــد لله وحده وحيث سبيل المخلصين سديد

على عزمات لا تقيم على الونى ولو أن كل الكائنات صدود

وقد حدد الخليلي موعد رحلته والوسيلة التي رحل عليها (الطائرة)، حيث يقول [بحر الطويل] [30]:

بعام ثلاث غب تسعين أعقبت ثــلاث مئين ألفهن فريد

لسبع ليـال بعـد عشــر لعقـدة خلـت قصدنـا بالعـزم جـدور

أتينا مطار السيب والظهر مشرف علينـا وعـزم الطائـرات عتيـد

ويبدو أنه قد نزل بالمدينة المنورة أولاً، ومكث فيها عشرة أيام، وزار الروضة الشريفة حيث يرقد جثمان الحبيب الطاهر محمد ﷺ، حيث يقول [بحر الطويل] [31]:

مدينـة خير المرسـلين وحصنه عليهـا من اللطف الخفـي برود

أقمنا بها عشــراً نروح ونغتدي وللمصطفى بيـن الريـاض وجود

نلامس أنـوار الضريـح وطيبة كأنا على الفردوس وهي سعود

وبعد زيارته لمدينة الرسول الأعظم توجه إلى جدة وذلك للبدء في مناسك الحج، ويحدثنا الخليلي عن وصوله وإقامته وشعوره بالشوق واللهفة للقاء البيت العتيق، ويصور ذلك قائلاً [بحر الطويل] [32]:

بسادس شهر الحج سعياً لجدة وما نريـد فنـاء اللـه وهـو مريـد

---

(29) الخليلي، عبد الله بن علي: ديوان وحي العبقرية، ط2(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1990م)، ص176.
(30) المصدر نفسه ، ص176.
(31) المصدر نفسه ، ص177.
(32) المصدر نفسه ، ص177.

ويصور الخليلي جميع مناسك الحج في رحلته، ويفصل المواقيت الزمانية والمكانية للحج والأحداث على التوالي حتى عاد إلى وطنه عمان، وهي منظومة تحفل بألوان البيان وبديع الكلام.

3 - أما رحلات سعيد بن خلف الخروصي(33) إلى الحج فهي عديدة، ومنها رحلته الموسومة بـ «السرى إلى أم القرى»، والتي مطلعها [بحر الكامل](34):

أهـوى علقـن فكلهـن عليل   وطوى عشـقن فهاجهن عليل

4 - رحلة أبي سرور حميد بن عبدالله السمائلي الجامعي إلى البيت الحرام لأداء فريضة العمرة، وقد عنونها بـ»رحلة إلى الله ورسوله»، وكانت رحلته في 1رجب 1416هـ وهي تتألف من ثلاثمائة وخمسة وثلاثين بيتا، حيث يقول[بحر البسيط] [35]:

شـوقي إليك دعاني لم أطق أبداً   صبراً فخلفت فيك الأهـل والولدا لم

لبيك ربـاه كـم أوليتنـي نعمـاً   يحصهـا العد مهمـا شـاءها عددا

إن رحلة الجامعي تمثل دليلاً يرشد الحاج والمعتمر براً للطريق بوصف دقيق وتسلسل راقي، حيث يصف المناطق والولايات التي يمر عليها في طريقه من عمان ودولة الإمارات العربية المتحدة حتى يصل المملكة العربية السعودية.

-5 رحلة عائشة بنت عيسى بن صالح الحارثية[36] إلى الحج، وهي قصيدة تتألف من ثلاثين بيتا، حيث تقول[بحر الطويل] [37]:

(33) سعيد بن خلف بن محمد بن نصير الخروصي: العلامة الفقيه الأديب، ولد عام (1344هـ/1925م) في ولاية نخل له العديد من القصائد والمؤلفات في الفقه، من أشهر كتبه: الدر المنتخب في الفقه والأدب. انظر: الخروصي، معتصم، ترجمة العلامة سعيد بن خلف، (سلطنة عمان:وزارة الأوقاف والشؤون الدينية)، ص-1 4.

(34) الخروصي، سعيد بن خلف بن محمد: الدر المنتخب في الفقه والأدب، ط1(سلطنة عمان :مسقط، 2007م)، 2 / 47.

(35) الجامعي، حميد بن عبدالله:رياض في الإسلام، ط1، 2000م، ص 80.

(36) ابنة العلامة عيسى بن صالح الحارثي، وهي من بيت علم ورياسة وفضل، وهي زوج الشيخ سعيد بن حمد الحارثي، أديبة وعالمة معاصرة، انظر الخصيبي: شقائق النعمان، 2/13.

(37) المصدر نفسه ، 2/13.

بدأت بحمد الله قولي مكللاً بخير صلاة للذي جاء هاديا
لك الحمد إذ يسرت أمري وبغيتي فمنك لي التوفيق ربي إلهيا

وقد رحلت إلى الحج وكان عمرها آنذاك سبعة وعشرين عاماً جواً وقد حددت موعد الوصول إلى أم القرى، وكان وقت الضحى، حيث تقول[بحر الطويل] [38]:

دعاني لحج البيت من بعد سبعة وعشرين عاما قد مضت من
فجزنا طريق الجو نخترق الفضا حياتيا وفي البر أحياناً نؤم المعاليا
وصلنا ضحى أم القرى منبع الهدى فقرت بها عيني وسر فؤاديا

6 - رحلات سعيد بن حمد الحارثي[39] الحجازية وهي كثيرة، وتتمثل في الآتي:

- رحلته الأولى إلى الحج في ظروف بالغة الصعوبة عام 1376هـ في عهد السلطان سعيد بن تيمور برفقة أصحابه الكرام[40]، وتمثل الرحلة الثالثة في ترتيب رحلاته المختلفة.
- رحلاته المتكررة للحج على مدار أربع سنوات متتالية حينما كان يشغل منصب رئيس بعثة الحج العمانية وذلك من سنة 1396هـ، وحتى سنة 1400هـ[41]، وله رحلاته متكررة إلى أداء العمرة برفقة أفراد أسرته، وتتمثل في رحلات برية وأخرى جوية.
- الرحلتان البريتان: الأولى في 14 جمادى الآخرة سنة 1402هـ مع أولاده[42]، والثانية في 24 جمادى الآخرة 1403هـ برفقة أفراد أسرته[43].

(38) المصدر نفسه، 2/13.
(39) سعيد بن حمد بن سليمان الحارثي المضيربي من الشرقية: ممن قال الشعر من أهل عمان في القرن الرابع عشر والخامس عشر، تعلم وتهذب وجالس الأدباء والمثقفين، انظر الخصيبي، 2/7.
(40) الحارثي، سعيد بن حمد بن سليمان. عبر وذكريات من أدب الرحلات، ط1، 2001م، ص6.
(41) المصدر نفسه، ص146.
(42) المصدر نفسه، ص64.
(43) المصدر نفسه، ص186.

أما الرحلات الجوية، فالأولى كانت في صفر سنة 1414هـ [44] والثانية في آخر شهر رجب سنة 1418هـ [45].

7 - رحلات ناصر بن سالم بن ناصر المعولي[46] إلى الحج، منها:

- رحلة الحج التي نظمها في قصيدة مطلعها [بحر الوافر] [47]:

أجبتك سيدي يا ذا الأيادي	ويا ذا الطول يا رب العبادِ

- وله رحلة أخرى إلى الحج، وقد نظمها شعراً، ومطلعها [بحر الكامل] [48]:

مالي أراك من الغرامِ نحيلاً	تذري دموعك بكرةً وأصيلاً

- وله رحلة حج ثالثة يقول في مطلعها [بحر الطويل] [49]:

أثرها تثر عفر الفلاة فتصرم	مساحتها بالسير صرما وترزم

- وله رحلة رابعة إلى الحج، مطلعها [بحر البسيط] [50]:

شوقي إليك دعاني لم أطق أبدا	صبرا فخلفت فيك الأهل والولدا
لبيك لبيك ياذا الفضل	يا بارئ الخلق والدنيا من العدم
والكرم لبيك إنا مسرعون إلى	أداء فرضك حج البيت ذي العظم

ثانياً: الرحلات العلاجية.

وهي تلك الرحلات التي كان الهدف منها العلاج والاستشفاء من الأمراض، فقد

(44) المصدر نفسه ، ص186.
(45) المصدر نفسه ، ص186.
(46) ناصر بن سالم بن ناصر المعولي: ولد في قرية حبرا إحدى قرى وادي المعاول بمنطقة الباطنة جنوب عام 1342هـ/1923م، تسلح بالعلم في مسقط رأسه حبرا ثم انتقل إلى بلدة أفي في مركز الولاية، نشأ في أسرة متعلمة، وتعد مرجعاً للناس في أمور الفقه وفي شؤونهم الاجتماعية، انظر ديوان الدر المنظوم في شفاء الهموم، ص11؛ 12.
(47) المعولي، ناصر: ديوان الدر المنظوم في شفاء الهموم، (جامعة نزوى: سلطنة عمان)، ص71.
(48) المعولي، ناصر: ديوان الدر المنظوم في شفاء الهموم، ص164.
(49) المصدر نفسه ، ص183.
(50) المصدر نفسه ، ص242.

رحل الكثير من العمانيين إلى خارج البلاد للاستشفاء والعلاج في مستشفيات الهند وألمانيا وإيران ولندن والقاهرة؛ وذلك لأن الطب لم يكن متطوراً في عمان آنذاك، وتجدر الإشارة إلى أن أغلب من رحل للعلاج خارج البلاد هم الفئة التي منَّ الله عليهم بيسر الحال، ومن أشهر الرحلات العلاجية:

1 - رحلة محمد بن عيسى الحارثي المسماةب»الرحلة الطبية للأقطار الهندية» في عام 1352هـ، وهي منظومة تتألف من مئتين وثمان أبيات، ومطلعها [بحر الرجز] (51):

الحمد لله ولي النعم	بما به من من التكرم
أحمده على جزيل نعمته	وأسألنَّه الشفا برحمته

ثم يحدد لنا موعد الرحلة من حيث الزمان (وقت الضحى 24من ذي الحجة من عام 1352هـ)، والمكان الذي يقصده في رحلته العلاجية (الهند)، حيث يقول [بحر الرجز] (52):

برابع العشرين من ذي الحجة	عام نأى(3) غش زمان الهجرة
أحمد قد صلى عليه الله ما	أورق عود وجرى في الأرض ما(4)
ضحى من القابل نحو الهند	خروجنا وهي انتهاء قصدي

من ثم يحدد موعد وصوله ومدة مكثه بالهند، ويعرفنا بأنه ذهب لعلاج عينه وكانت إقامته فيها 28 يوماً، فيصف الأحداث على التوالي[بحر الرجز] (53):

وبالخميس غرة المحرم	قدومنا للهند خير مقدم
في سبع ساعات نزلنا البرا	فالحمد للمولى وشكرا شكرا
قمنا بها شهراً سوى يومين	ومن ربي بالشفا لعيني

(51) الحارثي، محمد بن عيسى: ديوان أبي الفضل، ص281.
(52) المصدر نفسه ، ص281.
(53) الحارثي، محمد : ديوان أبي الفضل، ص283.

وبعد ذلك يحدثنا عن الطبيب الماهر، الجراح الذي عالج عينه، ويثني عليه وعلى علاجه ويصف لطفه ورأفته كرأفة الأم بأولادها، كما ينعت الآلة التي يستخدمها في العلاج بأنها ظريفة ومن مهارة الطبيب لا تجد أثراً لنزيف في عينه وذلك لحرص الطبيب ومهارته[بحر الرجز] [54]:

عالجت عند ماهر ذي خبرة   بمرض العين وكل علة
يباشر العلاج باللطافة   وآلة أكملت الظرافة
ذو شفقة كشفقة الأم على   أولادها حين يؤمُّ العَمَلا
فلا تحس وجعاً ولا ألم   ولا ترى للشق قط أثر دم

ويتوجه لله تعالى بالشكر على أن من عليه بالشفاء والعودة إلى وطنه عمان في يوم 28 من محرم عام 1352هـ، حيث يختم رحلته قائلاً [بحر الرجز] [55]:

فالشكر للمولى على نعمائه   والحمد لله على بلائه
في ثامن العشرين يوم الأربعا   قد صمم العزم على أن نرجعا
إلى عمان وطني المحروس   منزه عن غثة المجوسِ

2 - رحلة السلطان خليفة بن حارب للعلاج في لندن مع زوجته السيدة نونو بنت حمد السمار وبرفقتهم كاتبه سعيد بن علي المغيري وسكرتيره الخاص وطبيبه الخاص، وذلك في شهر ذي الحجة 1379هـ/ يونيو 1960م للعلاج في لندن.

3 - رحلات سعيد بن خلف الخروصي العلاجية لبلدان آسيوية (الهند)، وأوروبية (ألمانيا)، وهي عبارة عن منظومات شعرية تصف رحلاته العلاجية وتتمثل في الآتي:

- رحلته إلى بومبي عام 1392هـ، ومطلعها [بحر الرجز] [56]:

(54) المصدر نفسه ، ص283.
(55) المصدر نفسه ، ص285.
(56) الخروصي،سعيد: الدر المنتخب في الفقه والأدب، 2/119

باسم الذي أجرى السفين منا ... ورحمة للعالمين منّا
ماخرة تشق ماء البحر ... كأنما البحر وشيكا يجري
قد غادرت مسقط يوم العاشر ... من مارس والماء شبه الثائر

وفي اليوم الثاني وصل إلى جواذر، ومن ثم توجه إلى باكستان، وبعدها توجه مع شخص اسمه عبدالرحيم إلى كراتشي، يقول واصفاً خط سير رحلته[بحر الرجز] (57):

في ثاني يوم قد أتت جواذز ... وما رأينا قط شيئاً صادر
أكرم بباكستان من شجعان ... أهل العلا والمجد والسنان
فجاءنا عبد الرحيم الصاحب ... والكل منا لكراتشي ذاهب
إذا بها من أفخر الأمصار ... واسعة جميلة الديار

ومن ثم يصف لنا مسيره لملاقاة الطبيب، الذي تلقاهم بالبشر والترحاب وبعد انتهاء علاجه شكر الطبيب، وخرج يطلب من الله أن يمن عليه بالصحة والعافية، قائلاً[بحر الرجز] (58):

أقلنا السيار ثم سارا ... ليمنة وتارة يسارا
في تلكم الشوارع الجميلة ... حتى أتينا بلدة جليلة
يحلها الطبيب رافع على ... أعلى محل فاق حسناً وحلا
قابلنا بالبشر والترحيب ... والأنس والإجلال والتقريب
نشكره للخلق الجميل(5) ... وحسن لقيا منه والمقيل
والآن في بمبي أرجو العافية ... من خالقي ورحمة موافيه

- أما رحلته الثانية إلى الهند، وتحديداً بومبي فكانت في 3 من رجب عام

(57) المصدر نفسه ، 2/119.
(58) المصدر نفسه ، 2/119.

1399هـ، ومطلعها [بحر الرجز][59]:

باسم إلهي وله الحمد على ... مواهب من به تفضلا
من يستطيع شكره مكملاً ... يعجز طوقي عن أداء الشكر
ما البشر إلا الطب في "بمبي" ... وما بها من مطعم هني
لحومها واللبن الطري ... وطيبها المزيل غيم الفكر

ومن ثم يذكر أنه تعالج في عيادة في بمبي، قائلاً[بحر الرجز][60]:

أما علاجي فهو في عيادة ... أعني علاج الرأس للإفادة
وذا العلاج حكمه عباده ... لخبر عن النبي الطهر
كان مقامنا بمباي إلى ... ثالث شعبان وشهر قد خلا
منذ خرجنا من عمان مكملا ... فالحمد لله دوام الدهر

- رحلته العلاجية الثالثة إلى مليبار، المسماة (بهجة الأبصار، رحلة إلى مليبار)، فكانت عام 1415هـ/1994م، وهي منظومة تتألف من مائة واثنين وأربعين بيتاً، ومطلعها [بحر الرجز][61]:

باسم إلهي وله الحمد الأتم ... على الذي من به من النعم
مستوفيا مني له الشكر الأعم ... كما استطاع العبد روم الشكر
مصلياً على الحبيب الآتي ... بالبر من فرض ومن طاعات

- ورحلتيه الرابعة والخامسة فكانت إلى ألمانيا لمتابعة علاجه، فالأولى كانت في 1من ربيع الآخر1420هـ / 1999م، ومطلعها [بحر البسيط][62]:

(59) المصدر نفسه ، 2/121.
(60) المصدر نفسه ، 2/121.
(61) المصدر نفسه ، 2/139.
(62) الخروصي، سعيد:الدر المنتخب في الفقه والأدب ، 2/147.

أعجب بألمانيا قطراً لرائيه	به الطبيعة تزهو في مرائيه
سبحان طابعه في حسن منظره	في حسنه ليس من قطر يباريه
وهذه رحلة قمنا بها سبباً	طلاب طب لداء قد أعانيه

أما رحلته الثانية، فكان رفاقه فيها أبناؤه أبو محمد إبراهيم، ويحي، وخالد، وذلك لمتابعة علاج مرضه، ومطلعها [بحر الخفيف] (63):

طف بألمانيا طواف الكريم	وتمتع بها من نعيم
من جنان خضر وماء سكوب	أتقنت كلها بصنع نظيم

ومن ثم يسترسل في ذكر سفره والغرض الأساسي (العلاج) برفقه أبنائه، قائلاً [بحر الخفيف] (64):

جئتها ثاني الربيع لطب	أبتغيه ودفع ضر قديم
ورفاقي بها أبو محمد إبراهيم	يحي وخالد ذو الفهوم
هم بني الذين أمحصتهم	ودي من بعد ذي الفؤاد السليم

ويعد سعيد بن خلف الخروصي رائداً في الرحلات العلاجية إلى وقتنا الحاضر، وذلك لكثرة رحلاته العلاجية المكتوبة نظماً.

(63) المصدر نفسه ، 2/147.
(64) المصدر نفسه ، 2/149

ثالثاً: الرحلات العلمية والثقافية

وهي الرحلات التي كان هدفها الأساسي تلقي العلم على يد العلماء والفقهاء، وأغلب رحلات العمانيين العلمية قديماً كانت إلى مراكز الازدهار في عمان مثل نزوى والرستاق أما في عهد الدولة البوسعيدية فكانت زنجبار مقصد الكثير من طلاب العلم حيث كانت موئلاً للعلماء الذين رحلوا إليها، وبعد عام 1970م توجهت البعثات التعليمية إلى دول عربية وأخرى أجنبية، ومن الرحلات العمانية، العلمية المكتوبة شعراً وأخرى نثراً، الرحلات العلمية إلى زنجبار، وتتمثل في:

- رحلة العلامة محمد بن شامس البطاشي لتلقي العلوم الدينية واللغوية، وقد نظم قصيدة أثناء رحلته لطلب العلم إلى زنجبار، ومطلعها [مجزوء الرمل] (65):

يا خليلي اتركاني إنني بالهم واني
كم أقاسي من زماني مابه عمري رماني
وملمات عرتني وشجا خطب دهاني

ثم يؤرخ موعد الرحلة ووجهته التي يقصدها في رحلته قائلاً [مجزوء الرمل] (66):

ولقد أزمعت سيراً ليس يثنيني التواني
ولزنجبار قصدي سوف ألوي بعناني
وجمادى عام نشغ يوم عشرين وثاني
قد ترحلت أصيلاً طالباً نيل الأماني

ثم بدأ يسرد المدن التي مر بها في رحلته ومنها طيوي وصور ورأس الحد في المنطقة الشرقية من عمان وكذلك مروراً بمرباط حتى سقطرى ثم إلى زنجبار مقصده الحقيقي.

(65) الخصيبي،محمد: الزمرد الفايق في الأدب الرائق، 2/ 13- 14.
(66) المصدر نفسه ، 2/14.

وهناك من رحل للإلتقاء بالعلماء والأدباء، ومنهم الشاعر حميد بن عبدالله الجامعي في عام 1954م حتى 1964م إلى دمشق وكان يجتمع بالأدباء والشعراء ويلقي عليهم قصائده التي من بينها «روضة الألباب»والتي ألقاها عام 1964م وفي رحلته التقى بالعديد من الشخصيات المهمة. من الشخصيات التي التقى بها العالم اللغوي «عز الدين التنوخي» عضو المجمع اللغوي بدمشق وكذلك رحل إلى مصر وشارك في العديد من الأمسيات، والمسابقات الشعرية، والمنتديات الأدبية، كما رحل إلى العراق سنة 1989 وألقى قصائد في المربد[(67)].

ومن الرحلات العلمية البديعة، رحلة سعيد بن حمد الحارثي في صبح 12 من ذي القعدة 1401هـ/الموافق 11 سبتمبر 1981م إلى أمريكا لدراسة برنامج مكثف لمدة شهر، وكان البرنامج عن وكالة الاتصالات الدولية التابعة لوزارة الخارجية، وأغلب دراسة البرنامج متعلقة بالكنائس والجامعات.

ويسرد الحارثي تفاصيل رحلته، قائلاً: «وقد انتقلنا في عشر ولايات من الولايات المتحدة، وناقشنا الكثير من القسيسين ومديري الجامعات حول الإسلام والنصرانية...»[(68)].

وتحدث في رحلته عن المحاضرات التي حضرها في تلك الرحلة، ويصف لنا المحاضرة الأولى في نقاط ثلاث: تناولت التفكك الأسري وعدم التزام الشباب الأمريكي بالزواج الشرعي، وهجرة الشعب الأمريكي للكنائس حتى صارت هجرة خيالية. أما المحاضرة الثانية فتتحدث عن الدين ومكانته في أمريكا. والمحاضرة الثالثة تتحدث عن وجود الإسلام في أمريكا، وأن الإسلام موجود في القارة الأمريكية قبل وجود أمريكا فيها، والمحاضرة الرابعة كانت من إعداد عالم في علم الاجتماع تحدث فيها عن القيم والأخلاق في أمريكا وقد ألقيت في مدينة دورام [(69)].

(67) السليمي، محمود بن مبارك بن حبيب: شعر حميد بن عبدالله الجامعي «أبو سرور»، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية: كلية الدراسات العليا، آيار/1995م، ص39، ص40.

(68) الحارثي، سعيد:عبر وذكريات من أدب الرحلات، ص175.

(69) المصدر نفسه ، ص177.

ومن ثم يواصل سرد أحداث رحلته وبالتحديد في دورام زار جامعتها ووصف الجامعة وصفاً دقيقا من حيث الشكل والمساحة وعدد طلابها وموقعها بين الجامعات الأمريكية إذ يقول: «وزرنا في هذه المدينة، جامعة ديوك، وفيما يقول وكيلها أنها من أصغر الجامعات في الولايات المتحدة... وتبلغ مساحتها (400) فدان، وفيها نحو (9000) طالب، وبها مكتبة تحوي (2) مليون كتاب، و(5) مليون مخطوط...»(70) وبعد ذلك انتقل لزيارة مدينة كاليفورنيا وزار فيها معبداً للنصارى، ومن ثم زار ولاية متشيجان ورأى فيها كثيراً من اللاجئين العرب يقدرون بـ (200) ألف، كما زار المركز العربي للشؤون الاجتماعية والاقتصادية، وختام جولته كان في واشنطن، حيث عقد اجتماعاً للبحث عن انطباعاتهم في أمريكا.

ويذكر في نهاية رحلته أنه استفاد وأفاد حيث يقول: «والحاصل أننا استفدنا وأفدنا، والحمد لله على نعمه التي لا تعد ولا تحصى»[71].

وفي ختام رحلته التي دامت شهراً نظم أرجوزة تتألف من مائة وسبعة وثلاثين بيتاً، وقد أطلق على أرجوزته (الرحلة الإسلامية إلى القارة الأمريكية).

ومن الرحلات التي دونت حديثاً، رحلة محمد الحارثي إلى نيويورك وكان هد ف الرحلة الأساسي الانضمام لدورة صيفية كما يخبرنا الرحالة محمد الحارثي(72) قائلًا: «كنت في رحلة بدأت من مسقط، عبر لندن، باتجاه الجزر العذراء التي قضيت وقتاً طويلاً في البحث عنها على الخريطة ... وهي رحلة كان هدفها الانضمام إلى دورة صيفية محورها تاريخ وتطور الحياة البحرية في جامعة الجزر العذراء»[73].

(70) المصدر نفسه ، 182.

(71) المصدر نفسه ، 178.

(72) محمد الحارثي ولد في عمان عام 1962م، شاعر، كاتب ورحالة، كتب في الصحف العمانية والعربية، ترجمت له العديد من قصائده للإنكليزية، والألمانية واليابانية، حائز على جائزة ابن بطوطة للأدب الجغرافي. انظر: الحارثي، محمد:عين وجناح، ط2 (ألمانيا : منشورات الجمل، 2008م)، ص4.

(73) الحارثي، محمد:عين وجناح، ص5.

رابعاً: الرحلات السياحية

إن السفر يعطي للإنسان أفقاً في التفكير، ومتسعاً في تنوع التعبير، وذلك لأن النفس من طبيعتها الملل إذا ما ألفت المكان الذي تعيش فيه وقتاً طويلاً دون تغيير، ولو ظل الإنسان رهين بيته لما قامت له حضارة مادية ومعنوية، وقد رحل العمانيون كغيرهم للتنزه والسياحة داخل البلاد وخارجها، فكان لهذه السياحة نصيب كبير وحظ جميل في مدونات الرحالة العمانيين التي تنوعت بين شعر ونثر، وحوت تلك المدونات شريطاً من الصور الراقية الرائقة لمن يطلع على رحلاتهم ويبحر في خضم آدابهم، فقد بدت سياحة العماني على منظومات مطولة تعرض الرحلة وكأنك تشاهد فيلماً سياحياً يصور الطبيعة والجمال والآثار والديار. ومن هذه الرحلات، الآتي:

1 - رحلة أبي الحارث محمد بن علي البرواني، التي قام بها في يوم 20 من جمادى الأولى سنة 1332هـ الموافق 17 من إبريل سنة 1914، وكان سفره على متن الباخرة الألمانية (جتر ورمن) حيث كان الهدف من رحلته زيارة العديد من الأماكن التي اشتاقت نفسه لزيارتها، فمر في رحلته على بعض المدن ومكث فيها لفترات محددة وهذه المدن على التوالي: (عدن، السويس، القاهرة، القدس) وقد كان يسرد محاسن كل مدينة وتفردها عن غيرها من المدن [74].

والرحلات السياحية تجمع بين دفتيها دوافع متعدد فلا تنحصر دوافع الرحلة في التنزه فقط؛ فقد يكون للرحلة هدف آخر مع النزهة.

2 - رحلة العلامة المؤرخ سعيد بن جمعة المغيري لأجل الاطلاع على آثار كلوة القديمة والحديثة ويذكر العلامة سعيد المغيري تفاصيل رحلته من زمان ومكان وأحداث متسلسلة، فيروي لنا أحداث الرحلة مرتبة من ساعة الانطلاق:

(74) البرواني، محمد بن علي : رحلة أبي الحارث، ط 1(زنجبار: مطبعة النجاح، 1914م)، ص 1.

«إنه في اليوم التاسع من محرم سنة 1365هـ الموافق 15 ديسمبر سنة 1945م سافرنا من زنجبار في باخرة حكومتها المسماة (آل سعيد)... ونزلنا بدار علي بن سعيد البطاشي، وهو من أغنياء العرب...»[75]، ثم يستطرد في وصف أحداث الرحلة وما اكتنفها من الصعاب والأحداث المتوالية، فيقول: «قاسينا ألواناً من المشقة لصعوبة الطريق، من كثرة المطر والوحل...»[76]، ويحدد المغيري الهدف من رحلته قائلاً: «جئنا لزيارة الآثار القديمة في كلوة كسواني، والآثار الجديدة في كلوة كفنجة....»[77].

وقد وصف المغيري مدينة كلوة كفنجة بأنها «مدينة عامرة زاهرة، وكانت مركزا مشهوراً في عهد دولة العرب وسوقاً من أسواق الرقيق....»[78]، لكن المغيري على غير عادة الرحالة العمانيين يختتم رحلته بالحديث عن أهم الأحداث التاريخية التي حدثت في كلوة وما دار فيها من حروب بين العمانيين والألمان ويعود السبب الأول والأخير في ذلك لكونه مؤرخاً يهتم بالناحية التاريخية فهي صميم عمله، فيحدث القارئ قائلاً في ختام رحلته: «ومن الحوادث التي كانت في عهد الألمان أن سعيد بن سليمان الوردي العماني وقعت بينه وبين الألمان ثورة وحرب، وتمكن من الفرار إلى بنادر الصومال....»[79].

ومن الرحلات ما كان للتنزه والراحة النفسية، ومنها: رحلة السيد ماجد للهند وكان الهدف منها التنزه والراحة حيث يؤرخ المغيري للرحلة قائلاً: «وفي يوم الأربعاء 23 ربيع الآخر سنة 1282هـ، أقلعت مراكب السيد ماجد، وهي أربع مراكب حربية، إحداها فيكتوريا، وهو فيها بنفسه...» [80]، ويذكر المغيري أنه

(75) المغيري،سعيد: جهينة الأخبار، ص 139.
(76) المصدر نفسه ، ص139.
(77) كلوة كسواني: يطوقها البحر، أما كلوة كفنجة في نفس البر الموالي.
(78) انظر الخبر في جهينة الأخبار، ص 140، 141.
(79) المصدر نفسه ، ص 141.
(80) المصدر نفسه ، ص 141.

قد صحبه في الرحلة إخوته، وعمره يومئذ 21 سنة و محمد بن عبدالله الشقصي، ورئيس المدفعية طلب علي خان العجمي ووزير المالية والكاتب الخاص للقصر سليمان بن علي الدرمكي وغيرهم من رجالات السلطان.

ويذكر المغيري بأن كاتب الرحلة لم يدون متى كان وصول السيد ماجد إلى بومباي ولا مدة إقامته فيها، يقول المغيري: «ولم يذكر الراوي متى كان وصوله إلى بومباي، ولا بما قوبل من الاحتفال والتبجيل من الحكومة، ولا متى خرج منها قافلاً إلى وطنه، ولا عن وصوله متى كان...» [81]، ويتأسف المغيري على الرحلة التي لم تدون بدقة ولم تورد تفاصيل الانطلاق والاستقبال ولم تذكر زمن العودة ولم يلتفت الراوي على ما كان فيها من أحداث فهي رحلة تفقد متعتها عند القارئ ولا تسمن ولا تغني من جوع «فياللأسف على عدم ذكر ذلك، فليته استقصى خبر سفره كله، ولكن لم تنفع ليت شيئاً» [82].

وللعلامة سعيد المغيري رحلة أخرى، إلى شرق الجزيرة الخضراء للتنزه والاستطلاع على مناظر الزراعة فيها وكان ذلك في العشرين من ربيع الأول عام 1362هـ، وبدأ رحلته من شمال الجزيرة من تومبي إلى أبهانزا التي في الجنوب ويذكر المغيري مدة بقائه في هذه الجزيرة قائلاً: «وقد استغرقت رحلتنا من بدايتها 15 يوماً...»، ثم يذكر رفقته في هذه الرحلة «وكان في صحبتي العلامة حمد بن راشد الغيثي والولد علي...»، ووصف المغيري كعادته وصفاً دقيقاً لرحلته وما رآه فيها «وقد رأينا من تقدم زراعة المأكولات، وخصوصاً الأرز مما زاد إعجابنا وسرورنا...»، ويتحدث عن مظاهر الحفاوة التي قوبل بها ومن معه في الجزيرة الخضراء «وقد قوبلنا من الأهالي بما لا يزيد عليه من الحفاوة والجميل في كل مكان نتوجه إليه في سياحتنا...» [83].

(81) المغيري، سعيد: جهينة الأخبار، ص 304 - 305.

(82) المصدر نفسه، ص305

(83) المصدر نفسه، ص 481

3 - رحلة السلطان حمود بن محمد البوسعيدي (1853 - 1920) المسماة بـ «اللوامع البرقية»:

وهي رحلة سياحية للممالك الأفريقية، اصطحب فيها الشاعر ناصر بن سالم بن عديم الرواحي، كاتب الرحلة الذي اهتم بتدوين أحداث الرحلة في الفترة بين 4من رجب1316هـ/18نوفمبر1889م إلى 3شعبان1316هـ /17 ديسمبر 1889م زار خلالها مدن أفريقيا الشرقية، وقد نظم أبو مسلم يصف مختصر نهاية الرحلة قائلاً [بحر السريع] [84]:

قد نهض الجد على ساقه	يهزج في الأكوان كالعندليب
فما لأفريقية لا تنثني	من طرب مثل انثناء القضيب
قد ساح في أقطارها كلها	كالشمس في المطلع بعد المغيب

وتجدر الإشارة إلى أن الشاعر ناصر بن سالم الرواحي ممن رحل إلى زنجبار لاحقاً بوالده عام (1295هـ/1878م)، وقد عاد إلى عمان من هذه الرحلة عام (1300هـ/1882م)[85]، ومن ثم رحل إلى زنجبار مرة ثانية عام 1305هـ/1888م) وقد رحل إلى الأقطار الأفريقية في رحلته الثانية.

4 - رحلة للسلطان فيصل بن تركي (1888م – 1913) من مسقط لصحار، وقد ذكر ابن شيخان هذه الرحلة في معرض مدحه للسلطان فيصل بن تركي، حيث استهل القصيدة بمقدمة طللية، مطلعها [مجزوء الكامل] [86]:

---

(84) الرواحي، ناصر: اللوامع البرقية، ص42.

(85) المحروقي، محمد بن ناصر بن راشد: الشعر العماني الحديث أبو مسلم البهلاني رائداً 1920-1860م، ط1(الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000م)، ص68.

(86) مجموعة أشعار منها قصيدة الساحليات: مخطوط، رقم 1322، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ولاية السيب.

هُبِّـي فقـد طلـع النهـار   والحـب أحـلاه جهـار
للعيس في كشف الهوى   والعـذر فـي خلـع العِـذار
والصبـح يهـزأ بالدجـى   والغصـن يرقـص بالهـزار

وقد ذكر المدن التي مر عليها السلطان فيصل بن تركي في طريقه لصحار، ومن هذه المناطق: الفُليج، نخل، بركا، المصنعة، السويق، الخابورة، صحم، حتى وصل صحار مقصده الحقيقي والتقى بالرعية، كما وصف بأس وقوة الوالي سليمان ووصفه بسيف كسيف ذي الفِقار [مجزوء الكامل]:

فمضـى بموكبـه الشـريف   و حَـلَّ فـي عليـا (صُحـار)
فشـكـت إليـه حـال مـا   تجـد الرعايـا مـن ضـرار
والصبـح يهـزأ بالدجـى   والغصـن يرقـص بالهـزار
وأميرهـا الوالـي (سـليمان)   الفتـى حامـي الذمـار
لـم يبـقَ فـي البلـدان   عفريـت إلا منـه طـار
قـد سـله السـلطان سـيفاً   لا يفـل كـذي الفقـار

ومن ثم تحدث عن زيارة القبائل له، وأنها تطلب صفحه وعفوه في تذلل وانكسار، فعفا عنهم:

وقبائـل البلـدان جـاء   تـه بـذلٍّ وانكسـار
ترجـو رضـاه وعفـوه   والأمـن منـه مـن بـوار
فكسـاهم العفـو المسـكِّن   إذ أتـوه باعتـذار

5 - رحلة في مخطوط «أول قطرة من طل بسير أبي محمد البطل»[87] لسيف ابن ناصر اليعربي، وهي رحلة إلى ظفار في 19 من رمضان عام 1352هـ بحراً،

(87) اليعربي، سيف بن ناصر: أول قطرة من طل بسيرة أبي محمد البطل، مخطوط بوزارة التراث والثقافة، رقم 2468، ص55.

ومطلعها [بحر الكامل] [88]:

جَدَّت فَجدتـــ بالمســير حبالَها ... لـولا الحمول لقطَّعتـــ أوصالها

تمسـيـــ وتصبح والريـاح تلفها ... شـوقاً تواصل بالضحىـــ آصالها

قد بارحتـــ بحر المصيرة ماخراً ... والريـح تسـحـبـ بالهنـا أذيالها

في يوم اثنيـــ عاشـرٍ ظهـرت لنا ... مرباط والحصـن المنيع حنا لها[6]

وبثالث والعشـر مـنـ ذي حجةٍ ... ألقت عصَاهَا مرحبٌـ ورحَالهَا[7]

وهناك مبلغ كُلِّ ذيـــ أمـلٍ ومن ... بلغ المنى نسـيَـــ البحارَ وحالهَا

6 - رحلة محمد بن سالم الرقيشي[89] إلى منطقة الشرقية: المسماة بـ«الدرة النقية في الرحلة إلى الشرقية»، وهي رحلة زار فيها معظم ولايات المنطقة الشرقية وذكر كل ولاية وما تتميز به من محاسن ميزتها عن غيرها، والتي مطلعها[بحر الطويل] [90]:

أغالب فيك الشـوق والشوق غالبي ... غزال ولكن مـنـ لؤي بـن غالب

رمى سهمه الهدبي عن قوس حاجب ... إذا لـم تصن عنه القلوب بحاجب

وقد أرخ رحلته ووصف المطايا وسرعتها وتنقلها بهم من مكان لآخر[بحر الطويل]:

رحلنا المطايا في عشـية سـادس ... ربيع الأولى نرجو حميد العواقـبـ

فلمـا توسـطنا بأكوارهـا غدتـــ ... تهاوى بنا مثل الصقور الشـواغـبـ

7 - رحلة أبي بشير محمد بن عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي[91] المسماة

(88) المصدر نفسه ، ص55.

(89) محمد بن سالم بن زاهر الرقيشي (و: 1305هـ/1888م - ت: 30 شوال 1387هـ/ يناير 1968م)، والٍ وفقيه ناظم للشعر، من ولاية إزكي بالمنطقة الداخلية، له العديد من المنظومات وقصائد في الرحلات والاستنجاد والغزل. انظر السعدي، معجم شعراء الإباضية، ج2/319، 320.

(90) الحوسني، زاهر بن عبدالله بن هلال: سيرة العلامة الشهيد التقي محمد بن سالم الرقيشي(حياته وآثاره العلمية)، بحث تخرج بمعهد العلوم الشرعية غير منشور، 1424هـ/2003م، ص-167 170.

(91) محمد بن عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي المشهور بـ"شيبة الحمد" (و: 1314هـ/1896م - ت: يوم الثلاثاء 21 من ربيع الأول 1406هـ/4 ديسمبر 1985م) مؤرخ وأديب، وكاتب شاعر، من بلدة المنترب/ بدية، رحل إلى مناطق كثيرة كالسعودية والكويت ثم عاد إلى عمان، له العديد من الآثار العلمية (قصائد في الرثاء والإخوانيات والغزل). انظر السعدي، ج2/341.

«رحلة بدية إلى الديار الهندية» والتي مطلعها [بحر الرجز] [92]:

يـا مولعـاً بكثـرة الأسـفار صـلِّ علـى محمـد المختـار

واركـب جـواداً لا يجارى فاري واقطـع بـه مفـاوز القفـار

وخـل أوطانـك للجواري

ومن ثم يتحدث عن سفره إلى الهند ونزوله في مدينة بمبي، ويحدد لنا زمان ومكان الوصول، حيث يقول[بحر الرجز] [93]:

وليلـة الخامـس والعشـرينا من شـهر ذي الحجـة جئنا المينا

وقـد نزلنـا بنـدراص ثمينـاً بمبـي لا نزيدهـا تبيينـا

دار الغنـى وبغيـة السـفار

وقد زار في هذه الرحلة بعض أصحابه، والتقى بالعديد من الشخصيات ومنهم السلطان تيمور بن فيصل أثناء وجوده في رحلة إلى الهند وكذلك صقر القاسمي، ويسرد لنا تلك الأحداث، قائلاً [بحر الرجز] [94]:

وزالـت الهمـوم و الأكـدار من شهر ذي الحجة جئنا المينا

وأزهـرت أيامنـا القصـار فليلنـا كأنـه نهـار

يـا رحلـة طابـت مـع السـفار

طـاب بلقيـا الملك الجليل تـاج المعالـي هامـة الإكليـل

تيمور رب الشرف الطويل أنعـم بـه مـن ملـك نبيـل

حامـي الحمى محافـظ للجار

(92) السالمي، أبو بشير محمد بن عبدالله بن حميد بن سلوم: الروض النضير، جمعه ورتبه محمد بن راشد بن عزيز الخصيبي، ط1، (سلطنة عمان :مطابع النهضة، 1993)، ص 364.
(93) المصدر نفسه ، ص 365
(94) المصدر نفسه ، ص365.

ولست أنسى لليالي صقر ما هي إلا غرة للدهر
أحفظ ذكراها بطول عمري قد زارني وزرته بالقصر

شيخ أديب مؤنس الأحرار

وقد وصف ما رآه من بهيج الصور ومناظر فيها العجب والعبر، كما وصف الجواري وما يلبسن هناك من ملابس أدهشته وهي تسمى (الساري) حيث يصور لنا بعض ما رآه في رحلته قائلاً [بحر الرجز] [95]:

ننظر في شوارع القصور وفي مجامع من السرور
وفي رياض زينت بالحور تقطف من بديع الزهور

على اختلاف ألسن الجواري

إذا تثنَّت بكساء الساري تختال تيهاً مشية الجبار
تذكرني عهد زمان جاري بها حفظت وطني وداري

فعفوك اللهم عن أوزاري

ومن ثم يمضي في سرد أحداث رحلته حتى غادر إلى عمان هو ومن معه من رفاقه الأوفياء.

7 - رحلة حمد بن سيف بن محمد البوسعيدي[96] من دما والطائيين حينما كان واليا وقاضيا وخرج للزيارة إلى بني بطاش، وقد زار مناطق في ولاية قريات، ومطلع قصيدته [مجزوء الوافر] [97]:

(95) السالمي، محمد بن عبدالله: الروض النضير، ص366.
(96) حمد بن سيف بن محمد البوسعيدي، من أهل عمان من القرن الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، من بيت شرف وسيادة وكرم من أهل البلد الأخضر من الناحية الشرقية، تولى منصب القضاء على عدد من الولايات منها وادي بني خالد، السويق، وذلك في عهد السلطان سعيد بن تيمور.انظر الخصيبي: شقائق النعمان، 3/308.
(97) المصدر نفسه ، 3/313.

أتـت تختـال فـي عقد ثمين ... وترفـل بالأسـاور والبريـن
وتخطـر فـي غلائل ناعمات ... وتزهـو طلعـة بالنيريـن

8 - رحلة السلطان فيصل وسفره للمنطقة الجنوبية (ظفار) على اليخت السلطاني (نور البحر)، وقد اعترضه طوفان أثناء رحلته لكن الله كتب لهم النجاة والسلامة، ويصف ابن شيخان السالمي هذه الرحلة في قصيدةٍ مطلعها [بحر الكامل] (98):

جاءت كمـوج البحر تخطر بالكفل ... وقوامه بالطعن في الأحشا كفل
بيضاء ما لمحـت أسـرة وجهها ... بـدر الدجى متعرضـا إلا أفل

ويصف قوة اليخت السلطاني (نور البحر) في مقاومة الطوفان، قائلاً [بحر الكامل] (99):

يا نعم (نـور البحر)كم من صدمة ... في البحر زاحمها بصدر لا يفل

ثم يصف نجاتهم وتدارك رحمة الله بهم، حيث يقول [بحر الكامل]:

فتداركتهـم رحمـة منـه علـى ... إنقاذهـم لمـا تقطعـت الحيل
رجعوا بتاج سـلامة فاهتزت الد ... نيـا بمقدمهـم وأشـرقـت الدول
وتلبسـت أرجاؤنـا فرحـاً بهـم ... لم لا؟ وسـلطان الرعايـا قد وصل

9 - رحلة الشاعر جمعة بن سليم بن هاشل الخنجري الحارثي(100) إلى زنجبار عام 1351هـ، وهي منظومة شعرية، عبارة عن مخطوط في وزارة التراث والثقافة، يصف فيها الشاعر زيارته لزنجبار، وما وجد فيها من الحفاوة والتكريم، ويخبرنا

---

(98) السالمي، ابن شيخان محمد بن شيخان السالمي:ديوان ابن شيخان السالمي، ط1(شركة المطابع النموذجية، عمان: الأردن، 1979م)، ص75.

(99) المصدر نفسه ، ص76.

(100) جمعة بن سليم بن هاشل الخنجري الحارثي: (و... 1288هـ/1871م – ت: 1 ربيع الثاني سنة 1368 هـ/31 يناير 1949م) أديب شاعر عاش في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين، من بلدة المضيرب من أعمال القابل، له العديد من القصائد الشعرية في مختلف الأغراض، ويعمل حالياً محمد الحارثي على جمع أشعاره وتحقيقها.انظر السعدي: معجم شعراء الإباضية، 1/44، 45.

عن وقت ومكان وصوله وفيها يصور ما رآه، ويصف ما أعجبه في زنجبار وجمالها وطبيعتها الخلابة وخضرتها ومياهها وأمطارها الغزيرة على مدار العام، ومطلعها [بحر الوافر] [101]:

وصلنا بالسلامة زنجبارا	وكأس الأنس طاف بنا ودارا
وصولاً كان تجديداً لعهدٍ	تنادم بالمحاسن وادكارا
وصولا في ضحى الاثنين يوم	تحلى بالمحاسن واستنارا
لسبع من محرم باقيات	بعام واحد الخمسين صارا
وألف مع ثلاث من مئين	بها التاريخ قد رفع المنارا

10 - رحلة القاضي قسور بن حمود الراشدي[102] عام 1344هـ، وهي من الرحلات السياحية إلى زنجبار مع مجموعة من أصحابه للسياحة والتنزه، وهي مخطوطة بخط ممتاز وواضح، والتي يبدأها بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي وآله الكرام [بحر الرجز] [103]:

حمداً لربِّ العرش داجي الفرش	ورافع السَّماء بعد العرش
ثم الصلاة والسلام الأبدي	على ختام المرسلين أحمد
وآله وصحبه الأبرار	ما كور الليل على النهار

ومن ثم يخبرنا عن هدفه من رحلته هذه، حيث يقول [بحر الرجز] [104]:

(101) مجموعة سير وأشعار منها عن الشيخ القاضي قسور بن حمود (بزنجبار)، مخطوط، ق رقم 1031، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ولاية السيب، ص199.

(102) قسور بن حمود بن هاشل بن حمد الراشدي0 و: 1304هـ/1887م - ت 1360هـ/1941م) قاضٍ فقيه، وناظم للشعر، عاش في القرن الرابع الهجري، ولد ببلدة القريتين في إزكي، سافرإلى زنجبار ثم صار هناك مفتياً، ورجع منها سنة 1360هـ/1941م) له أرجوزة في إحدى رحلاته الأفريقية، وتقع في مائة وسبعين بيتاً، وله مطارحات أدبية، وأجوبة نظمية. انظر السعدي: معجم شعراء الإباضية، 2/301.

(103) مجموعة سير وأشعار منها عن الشيخ القاضي قسور بن حمود (بزنجبار)، مخطوط، ق رقم 1031، مكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي، ولاية السيب، ص1.

(104) المرجع السابق نفسه، ص1.

فزعزعــت زعــازعُ الجنــوبِ وجاوبــت شــمايل الهبوب
فأرعدت وأبرقت فأخصبت أرض الجمود بعد ما قد أجدبت
فأصبحت مخضرة من عظم ما فاض من سحاب بلد النعم
فأورقــت أغصانهــا وأثمرت مــن بعــد ما بنورها قد أزهرت
فاقتطفــوا أثمارهــا الســياحة لنزهــة الإعجــاب والملاحــة

11 - رحلة حمد بن نور الدين السالمي[105]، وهي منظومة قالها وهو يزمع الرحيل من بلد نخل إلى بلد الظاهر وهي قصيدة تتألف من واحد وعشرين بيتاً، ومطلعها [بحر الكامل] [106]:

دعني أبوح بسري المكنون فتذكري لمعاهدي مــن ديني
أبغي الشفا بتذكري ويزيدني شــوقاً ويُبرينــي ولا يَبريني
يا صاحبي وهل لقلبي مســعدُ بزيــارة لمعاهــد تشــفين

12 - رحلات سعيد بن حمد الحارثي السياحية وهي كثيرة ومتنوعة ومن أشهر رحلاته:

- رحلته إلى ماليزيا الخضراء.

وكانت الرحلة رقم (17) في أسفاره المتعددة، ويسرد رحلته قائلاً [107]: «سافرنا في أول رجب سنة 1397هـ ... وصباح 5 رجب سافرنا على الطائرة الهندية إلى (كوالالمبور) عاصمة ماليزيا...» وقد تحدث في رحلته عن جمال ونظافة ونظام مدينة سنغافورة وعن روعة الشوارع، قائلا: «سنغافورة بلد النظافة والنظام...، فالشوارع تصلح بأن يوضع فيها الطعام للأكل...». وبعد أن انتهى من رحلته في

(105) حمد بن عبدالله بن حميد بن سلوم السالمي: (و: 1323هـ/1905م- ت: 23 شعبان 1385هـ/17 ديسمبر 1965م) والٍ فقيه، وقاضٍ أديب، وناظم للشعر، من بلدة الظاهر/ بدية، ترك العديد من القصائد الشعرية. انظر السعدي: معجم شعراء الإباضية، 1/59.

(106) الخصيبي ,محمد: شقائق النعمان، 3/249.

(107) الحارثي، سعيد بن حمد بن سليمان: عبر وذكريات من أدب الرحلات، ط1، 2001م، ص60 : 62 .

سنغافورة عاد إلى سرواك ومن ثم قفل راجعاً إلى مسقط وفي طريقه زار بومباي وحيدرأباد في شرق آسيا، ومن ثم رجع إلى مسقط ونظم هذه الرحلة في أرجوزة[108] رائعة تتألف من واحد وستين بيتاً.

- رحلة إلى شمال عمان[109]

وهي الرحلة رقم (22) في ترتيب رحلاته، وكان بصحبته عيسى بن صالح الحارثي ومجموعة من المرافقين زار فيها نزوى والتقى بشيوخ تنوف، ومن ثم رحل إلى بلاد سيت في بهلاء لزيارة مشايخ بني هناءة، وبعدها توجه إلى الدريز في منطقة الظاهرة لزيارة مشايخ بني غافر، ومن ثم ارتحل إلى البريمي وما حواليها، وبعدها توجه لزيارة زايد بن سلطان الذي تلقاه في بلدة السنينة، ويذكر أنهم لاقوا الحفاوة والتكريم والتقدير وكرم الضيافة في دار الشيخ زايد.

وقد اهتم سعيد الحارثي اهتماماً ملحوظاً بتأريخ رحلاته التي تتعدى الأربعين رحلة ونيفاً، ويعرض العلامة محمد بن راشد الخصيبي[110]، جملة من مطلع قصائده في الرحلات السياحية، منها:

- رحلته إلى الهند عام 1395هـ/1975م، ومطلعها [بحر الرجز] [111]:

تاريخـه فـرج إلهـي همـي   عنـي (وجُد بحفظك الأشمِّ)

- رحلته إلى الديار الشامية عام 1396هـ/1976م، ومطلعها [بحر الرجز]:

أرخ (بل الحض على الأسفار)   شـيء جرى من قبـل المختار[8]

- رحلته إلى ماليزيا في عام 1397هـ/1975م، ومطلعها [بحر الرجز]:

(108) المصدر نفسه ، ص63؛ 66.
(109) المصدر نفسه ، ص79.
(110) الخصيبي، محمد: شقائق النعمان، 2/11.
(111) المصدر نفسه ، 2/11.

وكان ذا في رجب الأصب عام (رشاد مشرق مربي)

- ورحلته في عام 1401هـ/1981م رحلتان (112):

- أما رحلته الأولى فكانت إلى شمال أفريقيا وفرنسا فكانت عام 1401هـ /1981م، ومطلعها [بحر الرجز]:

خرجت في يوم الخميس من رجب آخره في عام (غادر) واغترب

- والرحلة الثانية، إلى أمريكا عام 1401هـ /1981م، ومطلعها [بحر الرجز]:

في القعدة الحرام صار السفر أرخه (طهي كان فيه الظفر)
من أشهر الميلاد ذا سبتمبر (أقلع مفاجاة أتاك الخبر)

- وله رحلة رابعة إلى شمال أوروبا والقطب الشمالي [بحر الرجز]:

لما انتهى المطاف من أسفار أرخت خذ باسم الإله الباري

13 - رحلات سعيد بن خلف الخروصي السياحية وهي إلى بلدان عديدة في عمان، وقد كتبها نظماً ليسرد لنا أحداثا مثيرة في رحلاته المختلفة، ومنها:

- الرحلة النقية إلى بدية الشرقية، في 8 جمادى الأولى 1399هـ / 1980م، وهي منظومة تتألف من سبعة وثلاثين بيتاً، مطلعها [بحر الخفيف] (113):

قل لركب من نخل شاذان أسرى عربة السير زائراً إخوانا
حي شاذون إن خرجت ومهما جئتنا راعيا لها أوطانا

ومن ثم يذكر الولايات التي مر عليها في طريقه (الصومحان، بركاء، السيب، الرسيل، فنجا، وادي العق، الجرداء) حتى انتهى إلى بدية قائلاً [بحر الخفيف] (114):

(112) المصدر نفسه، 2/12.
(113) الخروصي، سعيد: الدر المنتخب في الفقه والأدب ، 2/125.
(114) المصدر نفسه ، 2/126.

واذا مـا بـدت "بديـة" فارفـع علـم المجـد ذي أعـز مكانـا

- الرحلة الفاخرة إلى عبري الظاهرة في 3 من ذي القعدة عام 1399هـ، زار فيها مدن وقرى منطقة الظاهرة وذكر تاريخ عبري عبر العصور وأثنى على قبائلها وكرم أهلها في الضيافة، وخص كل قبيلة بمآثرها، وهي منظومة تتألف من اثنين وثلاثين بيتاً، ومطلعها [بحر الطويل] (115):

خليلي بالرستاق سيرا وبكرا ونصا لأن الدرب صار ميسـرا
وأمـا بنـا سيراً ديـاراً لغافـر وآل شـكيل والمقابيـل في الذرى
و"عبري" إذا ما جئتموها رأيتم بـلاد كـرام مـا أجـل وأفخـرا
ألا إن عبري مـن أجـل ديارنا ورايعة حسـنى بها التجـر(9) أزهرا

ومن ثم يتابع سرد رحلته حتى يخبرنا عن انتهاء الرحلة للظاهرة قائلاً [بحر الطويل](116):

وذي رحلة إذ زرتهـا يوم تسـعة وعشـرين من شوال شـهرا منورا
وألف مضى من هجرة المصطفى كذا توالت مئين أربع عدهـا جرى

14 - رحلة محمد بن ناصر المحروقي(117) إلى دولتي تنزانيا وكينيا«من الفرضاني(118). يوميات رحلة إلى زنجبار وممباسا والبر الأفريقي»(119).

وهي رحلة مليئة بالمغامرات والأحداث الشيقة والفكاهية أحياناً، وبالمواقف الصعبة التي تعرض لها الكاتب محمد المحروقي مع رفاقه في الرحلة التي كان لها دوافع موضوعية وذاتية، فقد كان الكاتب متلهفاً للانطلاق إلى تلك البقعة التي

(115) المصدر نفسه ، 2/129.
(116) المصدر نفسه، 2/130.
(117) محمد بن ناصر المحروقي: باحث وكاتب، مهتم بالأدب العماني في شرق أفريقيا.
(118) الفرضاني هي كلمة سواحلية، مأخوذة من العربية «الفرضة» وهي: «محط السفن من البحر» كما ورد في القاموس المحيط، وكما يشيع في الكتابات التاريخية وفي الاستخدام اللهجي، وعندهم هي مكان للترفيه على شاطئ البحر،و كانت قديماً ميناء للسفن.
مجلة نزوى، العدد (49) يناير 2007م، ص14.
(119) المحروقي، محمد بن ناصر: «من الفرضاني.. يوميات رحلة إلى زنجبار وممباسا والبر الأفريقي» مجلة نزوى، العدد (49) يناير 2007م، (ص 13: 30)، ص14.

احتضنت العمانيين وأغدقت عليهم خيراتها واحتوت أفراحهم وكفكفت أتراحهم، أرض القرنفل والأندلس المفقود كما نعتها الكاتب.

15 - رحلة الشاعر مرشد بن محمد الخصيبي «الأرجوزة العائلية إلى بعض دول الشرق آسيوية»[120].

وهي رحلة قام بها مع عائلته إلى تايلاند وماليزيا، وسنغافورة خلال صيف يوليو 2004م.

وأرجوزة الخصيبي السياحية تحمل وصفاً دقيقاً لكل بلد من هذه البلدان، حيث استهل أرجوزته بحمد الله قائلاً [بحر الرجز] [121]:

الحمد لله الذي قد يسرا	لعبده الخير وفضلاً يسرا
وبعد فالعزم بذاك العام	قر بتوفيق من العلام
نذهب صوب دول قد عرفت	بشرق آسيا غدت مشهورة
يؤمها السياح من كل حدب	وكل صوب ما يثير للعجب

ومن الجميل في أرجوزته السياحية اهتمامه بالمعالم التي تميز كل بلد زاره وتدوينه بدقة واهتمامه بالناحية التاريخية والثقافية لتلك الدول ومعالمها الأثرية والحديث عن موقعها الجغرافي.

خامساً: الرحلات الدبلوماسية

إن الرحلات العمانية الدبلوماسية انطلقت من شرقي أفريقيا؛ فهناك المولد الحقيقي للأدب الأم[122] التي تمثلت في رحلات الحكام والسلاطين لأوروبا بدعوة رسمية من بريطانيا[123] آنذاك، ومن هذه الرحلات:

1 - رحلة السيد برغش إلى أوروبا في غرة ربيع الثاني 1292هـ/8 مايو 1875م، يصحبه في رحلته السادة حمود بن أحمد، وحمد بن سليمان، وغيرهم من رجالات

(120) الخصيبي، مرشد بن محمد بن راشد: كوكب الشعر، ط1، 2006م، ص59.
(121) المصدر نفسه، ص59.
(122) أدب الرحلات العمانية تأسس في الشرق الأفريقي.
(123) فرضت بريطانيا حمايتها لزنجبار أثناء الوجود العماني فيها.

الدولة ومعه الكاتب زاهر بن سعيد.وهي رحلة لها أهميتها التاريخية والأدبية من بين الرحلات العمانية.

2 - رحلة السيد علي بن حمود (1329هـ/1911م) إلى بريطانيا لحضور تتويج الملك جورج الخامس، ملك بريطانيا، وإمبراطور الهند، فسافر السلطان علي بن حمود من زنجبار وبرفقته السيد خليفة بن حارب، ولما وصل باريس عدل عن السفر إلى انجلترا وأرسل نائباً عنه إلى لندن وهو السيد خليفة بن حارب وبقي في باريس إلى أن توفاه الله في 15 ربيع الأول 1337هـ [124].

3 - ومن الرحلات الدبلوماسية أيضا: رحلتي السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا، برفقة كاتبه العلامة سعيد بن جمعة المغيري، وعدد من رجال الدولة أما الرحلة الأولى فكانت في يوم 2 إبريل عام 1937م الموافق 19 محرم من يوم الجمعة 1359هـ، على متن الباخرة السلطانية (آل سعيد)، وذلك لحضور حفل تتويج الملك جورج السادس[125]. أما الرحلة الثانية فكانت في 2 يونيو 1953، على متن الباخرة المسماة (كينيا)وبرفقته زوجته السيدة نونو بنت حمد بن حماد السمار، وكاتب الرحلة سعيد بن جمعة المغيري، والسكرتير الخصوصي، والطبيب وذلك لحضور حفل تتويج الملكة إليزابيث الثانية[126].

سادساً: الرحلات القضائية

وهي رحلات تتحدث عن الفصل في الخصومات بين القبائل، فقد عاشت البلاد حروباً طاحنة، وكانت الحرب بين القبيلة نفسها وبين قبائل مجاورة لأسباب بسيطة، وقد كثرت رحلات القضاة للفصل بين القبائل المتنازعة وذلك للإصلاح والتوفيق بين الطرفين، ومن أشهر الرحلات القضائية التي قام بها عدد من القضاة إلى مناطق مختلفة داخل البلاد، الرحلات الآتية:

(124) المغيري، سعيد: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، ص421.
(125) المصدر نفسه. ص13.
(126) المصدر نفسه ، ص111.

1 - الرحلة العدلية إلى الديار الغربية:

وقد كانت في عام 1351هـ، وهي رحلة قام بها أبو الفضل محمد بن عيسى الحارثي إلى سمائل مع والده، وذلك بدعوة من الإمام الخليلي[127]، وهي منظومة راقية تتألف من ثلاثمائة وواحد وستين بيتاً، تعرض أحداثاً في تاريخ قبائل عمان وتصور لمناظرة بين مجموعة من القضاة في عدد من القضايا، وهذه المنظومة مطلعها [بحر الرجز] [128]:

الحمد لله على إرشاده	لنا بنشر العدل في بلاده
أهلنا لأفضل المراشد	ودلنا لأكمل المقاصد
في عام انشغ(10) من سنين الهجرة	سيدنا من صفوة البرية
صلى عليه ربنا وسلما	ما حن رعد في الدجا وهمهما
إلى الإمام قاصداً سمائلا	أعني الخليلي التقي الفاضلا
لما توالت رسل الإمام	إليه يدعوه إلى القيام

وتصور لنا المنظومة جمع القضاة للمناظرة وما دار فيها من أحداث حول قضايا عبس والأحكام المتداولة فيها وما الرأي في حل القضية بصورة حكيمة ودية، حيث يقول [بحر الرجز] [129]:

(127) الخليلي: محمد بن عبدالله بن سعيد بن خلفان، أبو خليل(و: 1299هـ/1882م- ت: الإثنين 29 شعبان1373هـ/3/ مايو 1954م)، إمام عادل وعلامة محقق، ولد في بلدة محرم من أعمال سمائل، وقد بويع بالإمامة في 13 ذي القعدة سنة 1338هـ/29 يوليو 1920م ، انظر السعدي، معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية، 134-3/132.

(128) الحارثي، محمد بن عيسى: ديوان أبي الفضل، ص267.

(129) الحارثي، محمد: ديوان أبي الفضل، ص270.

وجمـع القضـاة للمناظـرة ومن به تنكشف المشاجرة
أشـاد واستشـار فـي قضايـا عبس وما يصلح للرعايـا
دارت كؤوس الفكـر الصحيحة وبينهـم أنتجـت القريحـة
أن يرسلوا إلى رئيس عبس ليفصلـوا الأمـر بغيـر لبـس
إمـا بحكـم أو بصلـح يدفـع بواعـث الشـر بـه وترفـع

وتمضي المنظومة أبي الفضل في سرد الأحداث تباعاً وذكر الحلول المقترحة للتوصل إلى الحكم العادل، وهي من أطول الرحلات القضائية، وأروعها سرداً ونظماً، وتجدر الإشارة إلا أن هذه الرحلة في مخطوط بوزارة التراث [130]، وهي في ديوان أبي الفضل، كما أوردهامحمد بن بن راشد بن عزيز الخصيبي في كتابه»شقائق النعمان«[131].

2 - رحلة محمد بن عيسى للفصل بين خصومات القبائل في مناطق مختلفة من عمان:

ومنها الفصل بين خصومات وقعت بين بني غافر والخضور في ولاية الرستاق، فيصف لنا رحلته في منظومة تتألف من مئتين وواحد وعشرين بيتاً، يبدؤها بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي المختار وتحديد زمان الخروج من وطنه، قائلاً [بحر الرجز] [132]:

حمـداً وشـكراً وابتهـالاً وثنـا لربنـا أسـدى علينـا مننـا
في عام خمسين وألف سنة مـع أربـع مـع ثـلاث مائـة
لهجـرة المختـار سـيد البشـر صلى عليه اللـه مـا نجـم زهر

ثم تحدث في رحلته عن البلدان التي مر بها ابتداءً من منطقة سكنه في الشرقية

(130) الحارثي، محمد بن عيسى بن صالح؛ الرحلة العدلية إلى الديار الغربية، مخطوط بوزارة التراث القومي والثقافة (975)، الرقم العام 1934/98ز.
(131) الخصيبي، محمد؛شقائق النعمان، 2/292 - 312.
(132) الحارثي؛ديوان أبي الفضل، ص305.

(إبرا، المضيبي، سناو)، ومن ثم يتحدث عن هدفه الحقيقي للرحلة، وهو تلبية أمر ناصر بن محمد الغافري في الفصل في خصومات قبيلة بني غافر والخضور ونشوب قتال بينهم، قائلاً [بحر الرجز] [133]:

وقـد تلقينـا مـن الإمـام	أمـراً يحثنـا علـى المشـام
وأن نوافِيَنَّـهُ علـى عجـل	بجهـة الرستاق فالأمـرُ جلـل
بين بنـي غافـرِ والخضـورِ	قـد خالفـوا أوامـرَ القديـرِ
وجمعـوا جموعهـم إلى القتال	وقـد تداعـو للنضـال والنـزال

فوصل محمد بن عيسى الحارثي وبدأ يخاطب كل قبيلة ويدعوها للعودة إلى طريق الرشاد وترك النزاع وإراقة الدماء، قائلاً [بحر الرجز] [134]:

مـا هـذه الأنظـار يـا خضـور	مـا هـذه الأفـكار مـا المصيـر
فأيـن أحلامكـم مـا أذهبـا	لهـا وآراءكـم مـن صوبـا
يـا عجبـا منكـم سـراة غافـر	مـا بالكـم رمتـم خلاف ناصر
أليس هو كبيركم أليس هو	رئيسكـم وقـد جنيتـم غرسـه

ونجح في فض النزاع والعودة إلى بلاده، إن هذه الرحلة تمثل جزءً من تاريخ عمان.

3 - إيضاح البيان في ثورتي الوادي وجعلان :

وهي منظومة لمحمد بن عيسى الحارثي تتألف من ثلاثمائة وخمسة وخمسين بيتاً، وتتحدث الرحلة عن أحداث تاريخية وقعت في عام 1364هـ، وتسرد تفاصيل ثورة جعلان وما حدث فيها من قتل ونهب وانتهاك للحرمات وتسلط وإبادة وتتحدث عن

(133) المصدر نفسه ، ص307.
(134) المصدر نفسه ، ص308.

دور محمد بن عيسى في اجتماع الشمل وإخماد الفتن، ومطلعها [بحر الرجز] [135]:

حمداً لمن بالعدل قد شاد البنا	وكبت الجور وأهليه بنا
فأصبح الباطل في انهزام	ورفرفت معالم الإسلام
فالشكر لله على هذه المنن	وخير تسليم لمن أحيا السنن
عنيت في قولي وفي مرادي	وادي بني خالد وهو الوادي
والسبب الموجب للتداعي	ثورة جعلان بلا نزاع

4 - رحلة الطائيين للقاضي أبي الوليد الشيخ سعود بن حميد بن خليفين المضيربي [136]:

وكانت في عام 1352هـ، للفصل في دعاوى وخصومات وقعت بين بني طيء وبني عرابة، وهي منظومة تتألف من مائة وأربع وعشرين بيتاً، وقد استهل منظومته بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسول الله، قائلاً [بحر الرجز] [137]:

الحمد لله الذي قد صدعا	بالحق بين الخلق فيما شرعا
ثم الصلاة مع سلام أكمل	على نبي جاء بالحق الجلي

ثم يسرد فحوى القضية بين قبيلتي طيء وبني عرابة وأنه ذهب في صحبة ابن الأمير محمد بن عيسى الحارثي للفصل في الخصومة وقد كانت نقطة الانطلاق من بلدة المضيرب في يوم الجمعة، 24 من شعبان 1352هـ ويصحبهم في رحلتهم مجموعة من المرافقين، فيسرد لنا الأحداث قائلاً [بحر الرجز]:

(135) الحارثي، محمد:ديوان أبي الفضل، ص332.

(136) الحارثي: سعود بن حميد بن خليفين المضيربي الحارثي (و: ...- ت: ليلة 24 ربيع الأول1373هـ/1 ديسمبر 1953م)، قاضٍ ووالٍ، وفقيه أديب وناظم للشعر، تولى القضاء لمدة خمسة وثلاثين سنة للإمامين سالم بن راشد الخروصي ومحمد بن عبدالله الخليلي.انظر السعدي.معجم شعراء الإباضية، 152-1/151.

(137) الخصيبي: شقائق النعمان، -3/223 229.

وزعموا أن بني عرابة | قد آذنت طيء بالحرابة
فندب الأمير ابنه حمد | فتى سليمان ونعم المعتمد
لبى النداء مسرعاً في الحال | حينئذ آذن بالترحال
وقد صحبناه لكشف الواقع | وللقضا بالحق في التنازع
من بلدة المضيرب الشهيرة | خروجنا ونعم تلك السيرة
كان خروجنا رواح الجمعة | تحرياً لساعة الإجابة
برابع العشرين من شعبان | عام (نأى غش) وولى شاني

ثم يصور أحداث الرحلة وماجرى فيها من حلول سلمية ومصالحة بين الطرفين وأثنى القاضي على الموقف الذي أبدته كل قبيلة، كما أثنى محمد بن عيسى بن صالح على هذا الصلح وحمد الله على أن انفضَّ النزاع قائلاً [بحر الرجز] [138]:

حمداً لمن هدَّ بحكمٍ عادلِ | بناءَ كلّ جائرٍ وجاهلِ
وصده بالحجر عن صعوده | ورده بالقهر عن حدود

5 - رحلات سعيد بن خلف الخروصي :

ومن القضاة الذين نظموا رحلاتهم للفصل في الخصومات، سعيد بن خلف الخروصي، ويعد أكثر القضاة الذين رحلوا إلى شرق عمان وغربها وشمالها وجنوبها للفصل في الخصومات بين قبائل مختلفة، وله ست رحلات قضائية مكتوبة، تجشم في بعضها الأخطار في الوصول إلى البلدان النائية، وهي:

- الرحلة الأولى: وأسمها «رحلة الربيع إلى القُرَيَّة ووسيع»في 25 ربيع الثاني عام 1399هـ وهي تتألف من ستة عشر بيتاً، مطلعها [بحر الوافر] [139]:

(238) الحارثي، محمد: ديوان أبي الفضل، ص296.
(139) الخروصي، سعيد: الدر المنتخب، 2/ 130- 131.

صبا الأسحار في لطف الربيع | سرت تحدو الحبيب إلى الشفيع
فنفس روحها أشواق صب | وأحيا نشرها أحياء "سيع"
من الرستاق سرنا نحو"سيع" | لفصل الحكم أو صلح وسيع
وغالب ما ادعوه تم صلحا | بطيب النفس والخلق الوديع
وفي الإصلاح خير جاء نصا | بطيب النفس والخلق الوديع

- الرحلة الثانية: وكانت إلى وادي بني هني للنظر في قضايا نظرية وذلك في يوم 21ربيع الثاني عام 1400هـ، وتمت صلحا وحكماً، ومطلعها [بحر الطويل] (140):

بوادي هني عزة وطموح | وساكنة للمكرمات طموح
مناظره ملء العيون ملاحة | حدائق خضر ماؤهن سفوح

- رحلته الثالثة: وأسماها «رحلة الأكارم إلى علاة والودائم»، وكانت في 12 جمادى الثانية 1400هـ، ومطلعها [بحر الوافر] (141):

إذا «التشبيك» قابلت «الولائم» | ترى بلدين طاولتا النعائم
"علاة" تختها كالنجم لما | بدا من تحت بدر في الغمائم
و"بشوق" الأكارم كالثريا | تدلت في الترائب والمقاسم

ومن ثم يفصل في رحلته القضائية وما تم من صلح، قائلاً [بحر الوافر] (142):

أتينا للودائم في دعاوٍ | لعبرة مع بني ذهل المقاوم
فتمت بينهم صلحاً كحكم | ووفق من بني الصلح الملائم
فيا لله توفيقا وعونا | لنا فيما بلينا من عظائم

(140) الخروصي، سعيد: الدر المنتخب، 2/ 131.
(141) المصدر نفسه ، 2/133.
(142) المصدر نفسه ، 2/133.

- ورحلته الرابعة: كانت إلى وادي بني عوف وهي رحلة للفصل بين الهطاليين والمصالحة بينهم، وهي منظومة تتألف من أربعة وعشرين بيتاً، ومطلعها [بحر الطويل] [143]:

لدعوى أتينا دار عوف تيممنا لنصلحها بين الهطاطلة الغلب

- أما رحلته الخامسة: فكانت إلى ولاية قريات وإلى متعلقاتها «فِنس»و»بمة»، وهي منظومة تتألف من أربعة وعشرين بيتاً، وذلك في يوم الأحد ربيع الآخر عام 1402هـ وذلك للفصل في قضية بئر وجدار، ومطلعها [بحر السريع] [144]:

في الأحد الزاهر جئنا «بمة» وفي ربيع النور ما أكرمه

آخره عام اثنين ومن بعد مئين أربع معلمه

من بعد ألف قد تقضى على هجرة خير الخلق ما أعظمه

لنظر في حائط الأرض مع بئر وقد كانت به المخصمة

- والرحلة السادسة: رحلةإلى دما والطائيين، في 18 من ذي الحجة عام 1404هـ/ 15سبتمبر1984، ومطلعها [بحر الكامل] [145]:

يا غاديا للقرية المسفاة هوّن عليك فما الطريق مواتي

دار أحيطت بالجبال ودربها في الإلتواء كمسلك الحيات

ويذكر في رحلته القضائية الفصل في خصومات متعددة وفي المناطق التي قصدها ومنها الخصومات بين بني طيء وأهل دما وتم الصلح بينهم بتوفيق من الله وبفطنة القاضي، وبتعاون من أحد الأعيان وهو حمد بن سليمان بن سالم الرقادي ويبدو ذلك في قوله [بحر الكامل] [146]:

(143) المصدر نفسه ، 2/134.
(144) المصدر نفسه ، 2/135.
(145) الخروصي،سعيد: الدر المنتخب، 2/136.
(146) المصدر نفسه ، 2/136.

ذي رحلـة للواديين «دمـا» وما	ينمي لطيء بين "بعد "و"شات"
رافقت فيها القاضـي اللبق الرضى	حمد بـن عبدالله ذا الإخبات
وختامها مسك الصلاة لمن به	ختم الرسـالة فارض الصلوات

سابعا: الرحلات الصحفية:

وتمثل رحلات الكاتب محمد بن سيف الرحبي إلى بعض دول آسيا وأوربا، والهدف من الزيارات في أغلبها كان لأمر صحفي.

وفي حوار مع الكاتب محمد الرحبي حول هذه الرحلات أجاب قائلاً: «أنها دعوة صحفية أو مهمة لتغطية مهرجان أو مؤتمر ما»[147].

وفيما كان يقوم بالأمر الوظيفي فإن الروح الأدبية تتحرك لرصد أشياء لا يمكن عدّها ضمن المهمة الرسمية التي ذهب إليها، وكما يعلق قائلاً: «هناك ماهو خارج جدران الاجتماعات والمهرجانات، البلد بأنفاس البشر وتناقضاتهم، الطبيعة، الحياة اليومية، الشوارع، المقاهي ... عشرات الأشياء تتحرك بما يريد القارىء أن يتعرف عليها من خلال قلم صحفي...» [148].

وبين الرحلات الصحفية وأدب الرحلة لا توجد فروق واضحة لأنهما يتحدثان عن المكان حيث يعقب على سؤال الباحث عما إذا كان هناك فرق بين الرحلات الصحفية وأدب الرحلات قائلاً: «لا يوجد فرق واضح بين ما يسمى رحلات صحفية أو أدب الرحلات، فكلاهما يكتب عن المكان، لكني فضلت كلمة صحفية لأنني لست باحثا ينقب في تاريخ البلدان التي أزورها بل في حاضرها، أكتب عن يومياتها، وعن يومياتي بها، بلغة الصحفي المقتربة من اللغة الأدبية في توصيفاتها».

ومن البلدان التي زارها في رحلاته اليمن وأقام فيها أسبوعاً، ومن ثم توجه إلى

(147) مقابلة أجرتها الباحثة مع الكاتب محمد بن سيف الرحبي بتاريخ : 13 رمضان 1429هـ /2سبتمبر 2009م.
(148) المصدر نفسه.

اليابان وبعدها إلى دول أوروبا(إسطنبول، باريس، لندن، ألمانيا) ومن ثم كانت وجهته إلى مدينتي دمشق والقاهرة.

وتمثل هذه الرحلات تلك الأمكنة خير تمثيل وتصور شذاها الخاص بها دون غيرها من الأمكنة، فاليمن أرض تختص بذكرى بلقيس ملكة سبأ من عصور غابرة، واليابان بلاد تعمل بصمت، أما إسطنبول فهي ذلك البلد الذي يقع بين قارتين تتجاذبها روح الشرق وتقاليد الغرب، أما باريس فهي عطر وأنثى وقصيدة تترجم معاني الحب والجمال، ولندن بلد الضباب والثلج، ودمشق بلد الأصالة والتاريخ العريق، والقاهرة حضن الحضارات الأولى على مر التاريخ [149].

وهذه المدن التي كتب عنها محمد الرحبي وخصها بالذكر في كتابه»شذى الأمكنة «كان لها وقع خاص حرك روح الحياة في قلمه النابض بالحماس وقد يكون لخصوصية المكان العامل الأكبر.

على الرغم أنه زار أماكن كثيرة إلا أن شذى مكان يختلف عن الآخر، وفي سؤال خاص له عن سبب كتابته عن هذه البلدان بالذات، أجاب قائلاً: «لا أحدد إلى أين أذهب، عندما أجد فرصة للمشاركة في تغطية أي حدث خارج السلطنة أشعر برغبة كبيرة في الكتابة عن ذلك البلد، وحسب درجة الاختلاف، فمثلا قمت بزيارة جميع الدول الخليجية لكنها لم تحفزني للكتابة عنها، لأن أغلب المدن غابات أسمنت لا روح فيها، بينما اليابان، وبجوار غابات الإسمنت هناك طبيعة حياة كل شيء فيها مدهش» [150].

مما تقدم فإن الباحث في أدب الرحلات العمانية يجد أنها انطلقت من حافز الذات نحو السفر ودافع الضرورة في الظروف الإنسانية المختلفة، ولم تكن لتشكل اختلافاً كبيراً في دوافعها المختلفة عن دوافع الرحلة في الأدب العربي إلا أن ظهور الرحلات الصحفية يعطي لهذه الدوافع ميزة تضاف إلى رصيد تتطور أدب الرحلات العمانية.

(149) الرحبي، محمد بن سيف: شذى الأمكنة، رحلات صحفية (1)، طبع بمطابع مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان، بتصرف.

(150) مقابلة أجرتها الباحثة مع الكاتب محمد بن سيف الرحبي :13 رمضان 1429هـ /2سبتمبر 2009م.

(Footnotes)

(1) تكريت:مدينة بالعراق.

(2) بَرَهُوتُ: بضمِ الهاء وسكون الواو وتاء فوقها نقطتان،وبرهوت وادٍ بحضرموت: ياقوت الحموي، معجم البلدان 1/288.

(3) أي في عام 1352هـ

(4) يقصد: الماء.

(5) الخروصي، سعيد:الدر المنتخب في الفقه والأدب، 2/120.

(6) المصدر نفسه ، رقم 57.

(7) المصدر نفسه ، رقم 58.

(8) الخصيبي، محمد:شقائق النعمان ، 2/12.

(9) يقصد الرحالة بـ (التجر) التجارة؛ وهي معبر للقوافل منذ القديم؛ لذا سميت "عبري".

(10) أي في عام 1351ه


الفصل الثالث

الرحلات العمانية إلى أوروبا

الرحلة ذلك الجنس الأدبي الذي يتسم بالطرافة متى قورن بالأجناس الأخرى، ويمتاز بالإفادة والإمتاع[1]. هذا الجنس الأدبي كان يمثل منطلقاً للعربي في ارتياد الآفاق، أما الغربي فيمثل له بداية الاستكشاف، فالرحلة تمكن الأنا من معرفة الآخر، واستكشاف ما لديه من مظاهر التفوق.وتعكس الرحلات التي يقوم بها الأوروبيون إلى العالم الإسلامي، أو تلك التي يقوم بها مسلمون إلى أوروبا ثقافة الآخر وصورته أي «ذات الأنا الثقافية» اتجاه «ذات الآخر « المختلف والمناهض، أي ضمن علاقة الأنا بالأجنبي[2]؛ فيجد الباحث في أدب الرحلة أن ما كتبه الرحالون العرب إلى أوروبا منذ القرن التاسع عشر الميلادي، يشكل بالنسبة لمؤرخ الفكر العربي الإسلامي «مادة ثمينة في التعرف على الكيفيات التي نظر بها العرب إلى واقعهم المتأخر وانحطاطهم في مقابل تقدم أوروبا وتفوقها»[3].

وقد اهتمت الكثير من الدراسات العربية بالرحلات الأوروبية نحو الشرق بمفهومه الواسع، ولاحظت أنها تندرج ضمن مشروع أوروبا الاستعماري، ومحاولة الرحالة استكشاف مكان ضعف عند«الآخر»من أجل السيطرة عليه، واستطاع الغرب بفضل هذا السفر أن يكتشف «الشرق المغموس في سباته العميق»[4].

أما الدراسات التي قامت في أدب الرحلة العربي إلى الغرب والعالم فوجدت أن هذا الأدب يركز على تتبع ملامح النهضة العلمية والصناعية وتطور مظاهر

(1) العلوي، سعيد بن سعيد: أوروبا في مرآة الرحلة المغربية المعاصرة، ط1 (دار السويدي: أبو ظبي، 2006م)، ص11.
(2) القدوري، عبدالمجيد:سفراء عرب في أوروبا، ط1(دار السويدي : أبو ظبي، 2006م)، ص9.
(3) العلوي: أوروبا في مرآة الرحلة المغربية المعاصرة، ص11.

العمران ممثلة في التطور الحادث في نمط العيش والبناء والاجتماع والحقوق[5]؛ فقد انصرف الرحالة العرب إلى تكحيل عيونهم بصور النهضة في تلك المجتمعات مدفوعين غالباً بشغف البحث عن الجديد، وبالرغبة العميقة الجارفة لا في الاكتشاف فقط من باب الفضول المعرفي، وإنما من باب العلم واستلهام التجارب والأخذ بمعطيات التطور الحديث واقتفاء أثر الآخر للخروج من حالة الشلل الحضاري التي وجد العرب أنفسهم فريسة لها.

وكما كانت للآخر - الغربي - أهداف من رحلاته للشرق؛ فإن أحد أهداف كتب الرحلات العربية إلى العالم الغربي هو الكشف عن طبيعة الوعي بالآخر الذي تشكل عن طريق الرحلة والأفكار التي تسربت عبر سطور الرحالة والملاحظات التي ميزت نظرتهم إلى الدول والناس والأفكار.

فأدب الرحلات على هذا الصعيد يكشف عن همة الرحالة العربي، واستعداده للمغامرة من باب نيل المعرفة مقرونة بالمتعة، وهي إلى ذاك وذاك تغطي المغمور في أربع جهات من الأرض وفي قاراته الخمس، وتجمع إلى نشدان معرفة الآخر وعالمه، البحث عن مكونات الذات الحضارية للعرب والمسلمين من خلال تلك الرحلات التي قام بها الأدباء، والمفكرون والعلماء والرحالة العرب إلى ديار الغرب[6].

وفي العصر الحديث (منتصف القرن التاسع عشر) تطالعنا رحلة رفاعة الطهطاوي» تلخيص الإبريز في تلخيص باريز»، ورحلتا أحمد فارس الشدياق «الواسطة في أخبار مالطة»و»كشف المخبا عن فنون أوروبا»، ورحلة خير الدين بيرم التونسي[7] «صفوة الاعتبار»فقد أرسله أحمد باي تونس من عام (-1837 1855م) إلى باريس ليدافع عن مصالح الحكومة التونسية، وأوفده الباي في مهمات مختلفة إلى بلاطات ألمانيا وفرنسا وانجلترا وإيطاليا والنمسا والسويد وهولندا

(5) العظم، صادق باشا المؤيد: رحلة الحبشة من الأستانة إلى أديس أبابا 1896م، ط1 (أبو ظبي : دار السويدي، 2001م)، ص8.
(6) العظم: رحلة الحبشة من الأستانة إلى أديس أبابا 1896م، ص9.
(7) خير الدين التونسي (1810 - 1890م) درس اللغة الفرنسية والعلوم الإسلامية في تونس ثم التحق بالجيش، وترك الجيش ليحترف السياسة، انظر الزركلي، 2/375.

وبلجيكا والدنمارك، فكتب في مذكراته: «إن إقامتي الطويلة في فرنسا ورحلاتي العديدة مكنتني من دراسة أسس المدينة الأوروبية وأحوالها، فضلاً عن مؤسسات الدول الكبيرة في أوروبا»[8].

والمتابع لسير الرحلة عبر العصور يلاحظ أنها شهدت بداية تحول في موضوعاتها وفي وظيفتها معا منذ منتصف القرن التاسع عشر، تحولاً جعلها عند بعض الرحالة العرب المسلمين تبتعد عن الصورة المعهودة فيها؛ فالرحلة عند المتقدمين والمتأخرين تتفق من حيث شكلها وموضوعها؛ لكن الرحلة عند المتأخرين تسربت إليها مضامين جديدة؛ فبعد أن كان هدف الرحالة العرب أمثال ابن بطوطة وغيره ممن زار العالم الغربي الإمتاع وذكر الغريب والعجيب في الرحلة، تحولت «الرؤية» في الرحلة الحديثة إلى الإعجاب الشديد بالعقل، وما يوجد لدى الآخر من أسباب القوة، والتقدم والدعوة لوجوب الاقتباس من الغرب والأخذ مما عنده من التفوق والرقي، يقول رفاعة الطهطاوي واصفاً فرنسا وما رآه من العجيب وأحب أن يكون في دياره لا في ديار الغريب: «هذه المدينة العامرة بسائر العلوم الحكمية والفنون والعدل العجيب والإنصاف الغريب الذي يحق أن يكون من باب أولى في ديار الإسلام وبلاد شريعة النبي ﷺ»[9]، أما الشدياق فيقول: «يعلم الله أني مع كثرة ما شاهدت في تلك البلاد من الغرائب، وأدركت ما فيها من الرغائب كنت أبداً منغص العيش(...) لما أنني كنت دائم التفكر في خلو بلادنا عما عندهم من التمدن والبراعة»[10].

هذه بعض النماذج لرؤية الرحالة العرب في العصر الحديث للدول الأوروبية، وأغلبها تسلط الضوء على تفوق الآخر وتقدمه في مقابل تخلف الذات عن ركب الحضارة، وإذا تصفح الباحث كتب الرحالة في القرنين التاسع عشر والعشرين يجدها تموج بألوان الإعجاب بمنجزات الآخر وتحسره على الذات العربية، فترى الرحالة

(8) سبايارد، نازك :الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، ط2،(لندن : نوفل، 1992)، ص 22.
(9) الطهطاوي، رفاعة رافع:الدر النفيس في إيوان باريس أو «تلخيص الإبريز في تخليص باريز»، ط 1(أبوظبي ؛ دار السويدي، 0 200م)، ص47.
(10) العلوي، سعيد: أوروبا في مرآة الرحلة، ص13.

العربي يتمنى أن تنتقل نعمة الآخر لبلاده، فقد بلورت الرحلات العربية للغرب حقيقة قوية لا تفارق كتابات الرحالة، وتعيش في أذهانهم ألا وهي «علوم الغرب سبب قوته وتمدنه وحريته»وهذه الحقيقة تحتم على الشرق أن يلحق بركاب الغرب، وأن يقتبس من علومه، وقد صرح رفاعة الطهطاوي بصدق العالم المخلص:»إن البلاد الإسلامية احتاجت إلى البلاد الغربية في كسب ما لا تعرفه» [11].

ومجمل القول :أن الرؤية العربية في رحلتها للديار الغربية بلورت صوراً جديدة تتجه للاستفادة من حضارة الآخر مادامت الذات قابعة في البكاء على أطلال الحضارة الذهبية في عصورها الغابرة.

كشفت صفحات الرحالة العمانيين عن تلك الرحلات التي كانت وجهتها إلى أوروبا، وهي موزعة بين رحلات الحكام والسلاطين ذات الطابع الرسمي، وبين رحلات شخصية تمثلت في رحلات العلماء والأدباء، وكل منها ينطلق من دافع مهم وهدف مختلف، وقد بلورت كل رحلة من هذه الرحلات صوراً لأوروبا قد تختلف، وقد تتماثل في استحسانها لمشاهد الرحلة، وتتجلى فيها المعاني الجميلة وتصوير العقل للتمدن والازدهار الحضاري الذي وصلت إليه تلك البلاد، مما يجعل الذات تصدر أحكاما صادقة لإحساس عاشته في تلك البلاد الغربية وتحاول الانتقال - بعض الأحيان - من دائرة التأثر بتلك المدنية الراقية إلى درجة التأثير.

وتقف في مقدمة الرحلات العمانية لأوروبا، رحلتان رسميتان لسلطانين عمانيين إلى أوروبا، وهما تنطلقان من شرق أفريقيا إلى أوروبا.

أولاً: الرحلات الرسمية :

- الرحلة الأولى: تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار.

أولى الرحلات العمانية، رحلة السلطان برغش بن سعيد المسماة بـ»تنزيه

(11) سبايارد: الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة، ص 121.

الأبصار في رحلة سلطان زنجبار»، وكانت برفقة كاتبه الخاص زاهر بن سعيد، الذي تولى مهمة العناية بكل تفاصيل الرحلة وتدوينها، فكان الناطق في هذه الرحلة عن السلطان وترجمانه لأي بيان.

و يقف وراء هذه الرحلة دافع قوي تملك السيد برغش منذ طفولته، وهذا الدافع امتداد لرغبة دفينة عند والده السيد سعيد بن سلطان، الذي كان يتمنى رؤية الملكة فيكتوريا، فالدافع الأول من الرحلة «مقابلة الملكة فيكتوريا»[12] فقد ورد في الرحلة قوله: «قد رأيت الآن ما كنت أشتهي عليه من نعومة أظفاري، وتشرفت بالنظر إلى محيا ملكة الإنكليز وجها بإزاء وجه، فكان أبي - تغمده الرحمن برحمته- يحكي لنا ونحن صغار عن الملكة فيكتوريا ويقول إنه يود لو تسمح له المقادير بمشاهدة الملكة الجليلة...»، أما الدافع الثاني فهو للاطلاع على مظاهر التمدن عند الآخر ومحاولة نقل ما يستحق نقله إلى بلاده (الشرق الأفريقي)، حيث يذكر كاتب الرحلة أن السلطان قرر الخروج لزيارة بلاد أوروبا الغنية بكنوز المعارف والصنائع وأسباب الحضارة والعمران ليرى ما يستحق نقله إلى بلاده، فكتب إلى الملكة فيكتوريا «ملكة بريطانيا وسلطانة الهند» برغبته في زيارة البلاد الأوروبية فهشت وبشت وأرسلت تستقدمه برسالة ودادية[13].

وكان سفر السلطان برغش نهار السبت في اليوم الأول من ربيع الآخر سنة 1292هـ الموافق 5 مايو 1875م[14]، وقد وصف كاتب الرحلة مظاهر الحفاوة والتكريم وطريقة استقبال الشعب البريطاني للسلطان برغش فقد اصطفت الجموع على طول رأس الدرج الموصل إلى جسر ويستمنسر وضج الشعب أصوات السرور وعزفت الموسيقى الخاصة بالسلام الوطني وسار السلطان في حفاوة وترحاب إلى المنزل الذي أعدته الدولة لإقامة السلطان[15]، وخلال زيارة السلطان برغش لبريطانيا قام

(12) انظر الملحق رقم (3 - 6)، ص 150.

(13) سعيد، زاهر: تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار، تحقيق أحمد الشتيوي (سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 2007م)، ص20.

(14) سعيد، زاهر: تنزيه الأبصار ، ص27.

(15) المصدر نفسه، ص58.

بزيارة سباق الخيول، وهايد بارك، والمتحف البريطاني، وكذلك زار برايتون.

كما زار بعض المدن الصناعية برمنغهام وليفربول ومانشستر، حيث شهد قوة الثورة الصناعية.وفي كريستال بالاس جرى عرض للألعاب النارية على شرفه، كما زار الملكة فيكتوريا في قصر وندسور، وأمير ويلزوأميرتها في»مارلبروهاوس»، وقد اندهش السلطان برغش لرؤية الأميرين ألبرت وجورج يرتديان بدلات البحارة، التي ظنها زياً لعمال المصانع[16].

وتعكس هذه الرحلة بداية تأثر الذات بالمدنية والثورة الصناعية عند الآخر حيث كان لهذه الرحلة أثرها الطيب في نفس السلطان برغش وما وجده من الكرم والحفاوة أدخل السعادة إلى قلبه والتسلية والترفيه هذا الأثر تبلور في ذهن السلطان فعاد ليترجم ما رآه من مشاهد أعجبته ومن مدنية سحرت فكره لتكون واقعاً ملموساً في زنجبار، وحين عاد إلى زنجبار أدخل لأول مرة نظام المياه النظيفة ليحل محل الآبار المحلية ومياه الأمطار، إذ تم جر المياه النقية بواسطة قنوات الجر والأنابيب من نبع (بوبوبو) إلى بلدة زنجبار إلى مسافة حوالي ستة كيلومترات.كما أدخل تطويرات أخرى من ضمنها قوة الشرطة، مصنع ثلج، إنارة الشوارع بالكهرباء، وهاتف يصل مدينته بقصوره الريفية، وكذلك بنا السلطان برغش الطرقات وحسنها، بالإضافة إلى أنه قدم إحدى سفنه البخارية لنقل المسلمين الراغبين بالحج إلى مكة.

وتعكس هذه المنجزات تأثر الذات بما عند الآخر ومحاولة تطبيقها لبعض مظاهر المدنية في بلادها، ورحلة السلطان برغش من أكثر الرحلات العمانية التي تعكس درجة التأثر بالآخر وتحول شعور الإعجاب بمنجزات الآخر ومدنيته إلى واقع ملموس في دار السلطان.

- أما الرحلة الثانية، فرحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا (1936 - 1960م)، وهي محور الدراسة والتحليل.

(16) ملخص الزيارات الرسمية في تنزيه الأبصار، (بتصرف).

ثانياً: الرحلات غير الرسمية :

وهي رحلات العلماء والأدباء، الذين زاروا أوروبا وتنوعت انطباعاتهم ونظرتهم لهذه البلاد، وأهم هذه الرحلات:

رحلات سعيد بن حمد الحارثي إلى دول أوروبا.

وهي رحلات متنوعة جاب فيها مدناً أوروبية كثيرة أغلبها كان لهدف سياحي وأحيانا بتكليف رسمي، ومن أشهر رحلاته، رحلته الأولى إلى دول البلقان وشمال أوروبا وذلك في رجب سنة 1402هـ الموافق 16 من مايو 1982م، وهي الرحلة رقم (29) في رحلاته المتنوعة، ويحدد الدافع الأساسي للرحلة قائلاً: «اشتاقت نفسي أن أرى شيئاً من عجائب مخلوقات الله عز وجل، ...» [17].

- المحطة الأولى: أثينا عاصمة اليونان.

كانت محطته الأولى أثينا فنزل بها وأقام عدة أيام، وبدأ يتجول فيها فوقعت عيناه على المناظر الغريبة والعجيبة في تلك البلاد، فانطلق يصف المعالم السياحية التي رآها، ويضع لها لمسات تاريخية جميلة فمن المعالم التي يذكرها «متحف الأكربول»، ويضع للقارئ ملخصا مفيداً عن هذا المبنى حيث يقول: «... وهو متحف عال في وسط المدينة ويسمونه الإله أثينا، وإليه تنسب عاصمة اليونان، وأكثره الآن متهدم لكنه عظيم الصنع...»[18]، ويستطرد في وصفه لهذا البناء العجيب قائلاً: «...وعلى الحائط أعلاه مسامير مركوزة يقال أن الإسكندر إذا رجع منتصراً يعلق في مسمار منها سيف عدوه ... الذي انتصر عليه...»[19]، ولمدينة أثينا تصوير راقٍ بعدسة الرحالة الحارثي البصرية وترجمة وجدانية لأحاسيسه تجاه أثينا، ولم يكن المعتقد الديني لأثينا بغائب عن اهتمامه في هذه الرحلة فقد عرض

(17) الحارثي، سعيد:عبر وذكريات من أدب الرحلات، ص 17 - 18.
(18) المصدر نفسه، ص 198.
(19) المصدر نفسه، ص 198.

تعدد الآلهة عندهم كإله الزرع وإله البناء، وإله الحيوانات وغيرها، وما يلبث أن يعود للوصف التاريخي لتلك المدينة والحديث عن موقعها الجغرافي المتميز فهي على حد قوله أرض يحيط بها البحر من ثلاث جهات إلا من جهة الشمال.

يلحظ القارئ ثقافة الرحالة الحارثي الغزيرة في رحلته هذه فهو يجمع الثقافة التاريخية والجغرافية والدينية بالإضافة لحسن انتقائه للمواقع الأثرية والتراثية للبلاد التي زارها وهذا ليس بغريب على رحالة مثل سعيد ابن حمد الحارثي الذي جاب أغلب البلدان.

- المحطة الثانية: بلجراد عاصمة يوغسلافيا

وقد استقبله مفتي بلجراد، ولم يتمكن حسب قوله من زيارة غير العاصمة، فوصف بلجراد وصفاً يدل على شدة اندهاشه بجمالها الراقي حيث يقول: «هذا البلد جميل جداً، شوارعه من الأشجار، كأنك تمشي داخل خيمة، لكثرة ما تعاكفت على الطرق، ولا ترى فيها إلا خضرة، إن لم تكن من قبل إنسان فمن قبل الله، الطبيعة التي خلقها الله عليها»[20]، ويجتمع الوصف التاريخي والجغرافي في هذه الرحلة ليشكلا سجلاً ثقافياً يحفل به القارئ الذي لم يتسنّ له رؤية هذا البلد أو زيارته وتتجلى معالم بلجراد الأثرية في عين الرحالة سعيد بن حمد الحارثي فهو ينتقي تلك المعالم بعناية شديدة ويصورها في أفضل الصور فيذكر أهم معلم أثري في بلجراد قلعة (ميدانا) التي بناها علي باشا من ملوك الأتراك الذين حكموا بلجراد وغيرها ويذكر أن بها ستين مسجداً هدمتها النمسا حين غزت هذه البلاد عام 1707م، وأن قبر علي باشا موجود في هذه القلعة، ومن الطرائف التي يذكرها في وصفه أنه حين تفتح شبابيك القلعة يلقي الناس على ضريح علي باشا آلاف الفلوس تبركاً بالقبر، فينتفع بها جماعة المسلمين هناك.

ويمضي في ذكر بعض المواقع الطبيعية الجميلة، منها نهر ساوة والدانوب،

(20) الحارثي، سعيد: عبر وذكريات، ص 193.

ولا يغفل كعادته الحديث عن أحوال الناس مع الدين ففي بلجراد على حد قوله عدة مساجد وكلية للعلوم الشرعية وكان لا يوجد في بلجراد خاصة أكثر من (500) مسلم أما الآن فيصلون إلى (60000) مسلم ويعزي هذه الجهود الطيبة إلى مفتي بلجراد حمدي يوسف.

وفي رحلته هذه تتجلى اهتماماته الأولية المتمثلة في التنزه، والاطلاع على أحوال هذه البلاد وأهلها، ويلحظ القارئ تركيزه على الدين وينبع اهتمامه بهذه الناحية من أمرين هما: لكونه ذاتاً عربية مسلمة متمسكة بتعاليم الدين، اهتماماته الدعوية ووصول الإسلام لغير المسلمين.

- المحطة الثالثة: استوكهلم عاصمة السويد.

وكان هدفه من هذه الرحلة رؤية الشمس حيث يقول: «وكان قصدي من هذه الرحلة أن أرى الشمس، يقال أنها في أشهر الصيف لا تغيب عن الأفق أصلاً، وفي أشهر الشتاء لا تظهر أصلاً، فحققت ذلك ورأيته بعيني»[21]، ومن شدة اهتمامه برؤية الشمس صعد جبالً عالياً ينظر فيه للشمس وهي على شفا الغروب.

وقد وضع لنا صورة بديعة عن بلاد الآخر كأنه يلمح للنعمة التي تمتلكها الذات (رؤية الشمس والدفء) حيث يصور ما رآه من الثلوج التي غطت المدينة وهي في نظره نكبة حلت بتلك البلاد قائلاً: «أخذنا نتفرج على هذا البلد المنكوب بالثلوج، فرأينا الأشجار وقد غطت عليها الثلوج، وصارت كأنها مدفونة ليس فيها ورق أصلاً، ورأينا حيوانات البر كابن سولع هزيلاً جداً، لا يجد ما يأكل، وكان معفوراً بالتراب يتهادى من الجوع، والبحر جامد...» [22]. من هذه المحطة نظرت الذات لتلك النعمة العظيمة في بلادها بإجلال وحمد.

(21) الحارثي، سعيد: عبر وذكريات، ص 195.
(22) المصدر نفسه، ص 195 - 196.

- المحطة الرابعة: إسطنبول

كانت انطلاقته القادمة إلى العاصمة التركية القديمة، إسطنبول، وأول مشكلة واجهته اللغة. ومن حسن حظه أنه صادف رجلاً تركياً يعرف العربية، قام بمساعدته وتوصيله إلى مكان إقامته.وكعادته بدأ يثري قارئ الرحلة بالمعلومات الأساسية عن هذه البلاد قائلاً: «إسطنبول هي العاصمة القديمة لتركيا، أما اليوم فالعاصمة هي أنقرة وهذان البلدان هما أكبر مدن تركيا، بالإضافة إلى أزمير...»[23]، ومن ثم بدأ بوضع ملخص جغرافي لموقع إسطنبول وذكر مبانيها القديمة والقباب المزخرفة الزاهية فيها، وأنه زار المسجد الإسلامي ورأى رجال الدين ووصف هيأتهم «ووجدنا هناك مشايخ عليهم اللحى الكبيرة، والوقار المحبوب...»[24]، وأنهم فرحوا برؤيته واندهشوا لشكله وقالوا له: «لا نظن أحداً على هذه الهيأة التي أنت عليها حتى مشايخ الحرم...»، وهذا يدل على تميز ذاته وهيئته في لباسه وصفاته فمن المعلوم أن سعيد بن حمد الحارثي كان رجلاً معروفاً بالصلاح.

كان لرحلة الحارثي إلى هذه الدول وقع كبير في نفسه، حيث تجلت صور الطبيعة الجميلة العجيبة لدى الآخر، وما يحظى به من منجزات ومعالم أثرية وسياحية، لكن الذات تفوقت على الآخر في أمور عدة، منها الدين والالتزام به وتوجه الاهتمام إليه فهو من الأولويات الضرورية في حياة المسلم، ونعمة وجود الشمس طوال أيام السنة، وفي المقابل حرمان الآخر منها.

وتخليداً لهذه الرحلة نظم سعيد بن حمد الحارثي أرجوزة تتألف من مائتين واثنين وعشرين بيتاً، مطلعها[بحر الرجز] [25]:

(23) المصدر نفسه، ص199.

(24) المصدر نفسه، ص199.

(25) الحارثي: عبر وذكريات، ص201.

الحمدُ للـهِ العَلـيّ شَـأنُهُ دَلَّ عَلَـى عُلُوِّه سُـلطَانُهُ
بِقَهرِهِ جميعَ من في الكونِ بـلا مشـارك لـه وعـونِ
في غيـرِ حاجةٍ لمن يدبر معـه أمـور الكـون أو يغيـر

وفي سفره التاسع والثلاثين ذهب لزيارة تركيا مرة أخرى وزار الأماكن التي لم يرها في الرحلة السابقة حيث مكث في أنقرة خمسة أيام، ثم زار إسطنبول ومكث بها أربعة أيام فوصف آثارها القديمة، وأنها تزخر بالناس، وأنها شديدة الغلاء فأسعار المساكن والبضاعة مرتفعة جداً، ومن الأماكن الجميلة التي زارها في إسطنبول، جزر الأميرات، وهي جزر خضراء جميلة، والبواخر فيها تمتلئ بالناس في ذهابها وإيابها.

وبعد خروجه من تركيا نظم أرجوزة راقية تتألف من مائة وخمسة وثلاثين بيتاً، مطلعها [بحر الرجز] [26]:

الحمـد لله مفـرج الحـزن ممهد الأرض لشـام ويمن
وشـرقها والغـرب والجوانب لكل مستخف وكل سـارب
وكل ما في الأرض مخلـوق لنا كرامـة ونعمـة لأجلنـا

وللشيخ سعيد بن حمد الحارثي رحلات كثيرة غير هذه الرحلات لكن اختارت الباحثة رحلاته إلى مدن أوروبية،لخصوصية الحديث عن رحلات العمانيين إلى أوروبا.

2 - رحلة محمد الحارثي إلى الأندلس (أسبانيا).

كان سفر محمد الحارثي إلى إسبانيا عبر مضيق جبل طارق في العشرين من مارس عام 1994م وهناك استقبل استقبالاً ودودا كما يعبر بروح السخرية «استقبلت استقبالاً ودوداً» [27] وقد كان هذا الاستقبال من قبل رجال الشرطة حين وصوله إلى ميناء الخزيرات (الجزيرة الخضراء) ضربة في مؤخرة الرأس

(26) المصدر نفسه، ص233.
(27) الحارثي، محمد: عين وجناح، ط2 (منشورات الجمل: ألمانيا، 2008م)، ص 137.

بهراوة رجال الشرطة، وضربة أخرى على جبهة الرأس، ومن ثم قذف بركلة من حذاء العسكري إلى غرفة الموقوفين.

وفي التاسع من أغسطس من عام 1995م تقدم بطلب تأشيرة دخول ليوم واحد إلى الخمسة كيلومترات التي كان العرب في سالف الأيام يطلقون عليها (جبل طارق) في القنصلية البريطانية بطنجة، لكن طلبه قوبل بالرفض بحجة أنه لابد من حصوله على تأشيرة من أسبانيا لضمان عودته إلى بلدٍ ما، رغم أن طلبه كان واضحاً وبسيطاً «تأشيرة دخول ليوم واحد تمكنه من تجديد إقامته بالمغرب».

ويصف محمد الحارثي الرد الذي تلقاه قائلاً: «الرد الدبلوماسي المفتقر لأدنى درجات التهذيب»[28]، وقد حاول إقناع المسؤولين بطلبه؛ لكن العجوز التي كان يخاطبها رفضت وردت عليه بأسلوب جاف «لكنها أجابت بصفاقة الحيز بون...» [29].

والطريف في أمره أنه استطاع بعد أسبوعين الحصول على تأشيرة من قنصلية أسبانيا في طنجة بسهولة ويسر لا تخطر على البال، حينها تمكن من السفر إلى الجزيرة الخضراء على متن السفينة المسماة «ابن بطوطة»وذلك ظهر العشرين من أغسطس 1995م، متوجساً مما لا تحمد عُقباه ولا يحمد عِقابه؛ لكن الأمر كان سهلاً هذه المرة، فبمجرد أن رأى رجل الأمن تأشيرة الدخول، ختم جواز السفر، وقدمه مع ابتسامة لم يجد لها محمد الحارثي تفسيراً، وعلّق قائلاً: (فرجال الأمن لا يبتسمون، وإن فعلوا لغاية في نفس يعقوب!)[30].

وعند وصوله ميناء الجزيرة الخضراء خضع الجميع إلى تفتيش دقيق، خال نفسه أنه لن يسلم من ذلك التفتيش، ولكن المصادفة العجيبة أن الجمركي حين وقعت عيناه على صورة سلفادور دالي في مجلة «المدى» التي كانت داخل حقيبة محمد الحارثي، أغلق الحقيبة وسمح له بالعبور.

(28) الحارثي، محمد: عين وجناح، ص 139.
(29) المصدر نفسه، ص 139.
(30) المصدر نفسه، ص 140.

استطاع أن يخرج من الجمارك بسهولة ويسر لكن اللغة أعوزته لمترجم فهو لا يجيد الأسبانية وحين يتكلم عند المارّة يلجأ للإنجليزية تارة ويستغيث بالفرنسية تارة أخرى، لكنه بعد برهة علم أنه قريب من مركز المدينة، فوجد مكاناً للسكن «بنسيون»(31)، ويروي في رحلته مشاهد المسخ التي لاقتها حضارة الأندلس أثناء تجوله قائلاً: «قضيت الظهيرة مشياً على قدمي مدققاً النظر في الآثار التي لا تخفى على العين ينابيعها العربية رغم التشويه المتعمد بتمثال هنا، أو ضريح هناك لا تمح كرامة القديس الراقد تحت رخامه بافتعال خطاب مضاد لا جدوى منه»(32).

كانت محطته الثانية غرناطة، وهناك شاهد قصر الحمراء ونزل في بنسيون الماركيز حيث وجد عائلة ودودة تلقته في محل إقامته وقدمت له الخدمات التي يحتاجها، ومرة أخرى يقع في حيص بيص مع لغة الأسبان فالإنجليزية والفرنسية غير مقبولة في هذا البلد رغم أن الإنجليز والفرنسيين ثأروا للأسبان من الشرق، ويصف إرهاقه وعناءه في رحلته هذه قائلاً: «ونمت نوم الثور الإسباني الجريح، ولم تقترب مني الأحلام تلك الليلة، ربما إشفاقاً على ما آل إليه حال الجثة»(33).

- المحطة الثانية: قرطبة، ولادة وابن زيدون

وفي هذه المحطة ينزل الرحالة محمد الحارثي في «بنسيون المنصور»، وهناك زار «جامع - كاتدرائية قرطبة» التي وصفها الدليل السياحي بأنها جامع كبير بناه عبدالرحمن الأول عام 780م على أنقاض موقع القديس فنست، وأجرى له عبدالرحمن الثاني تحسينات وتعديلات جوهرية لم يلبث المنصور إلى أن أضاف إليها تحسينات، ونقوشاً بديعة تعبيراً عن عظمة مملكته الحد الذي أفقد المحراب وسطيته في المسجد(34).

ويمضي محمد الحارثي في وصف أهمية هذا الجامع، حيث يقول: «الكاتدرائية أثر يعكس تبادل المواقع بين مسمار الزمن وأحجاره الذي هو في العمق، محصلة لتبادل

(31) كلمة (بنسيون) كلمة فرنسية الأصل، ويقصد بها مكان الإقامة، ص 140.
(32) الحارثي، محمد: عين وجناح ، ص 141.
(33) المصدر نفسه ، ص147.
(34) المصدر نفسه ، (بتصرف)، ص152.

القوى السياسية والدينية ومواقعها، موقعه في وثائق الاستسلام بـ(لا غالب إلا الله)...»[35].

ويمثل الجامع صورتين لحضارتين (الشرق والغرب)، فالمحراب في الجهة الشرقية، والمسيح والعذراء في الجهة الغربية، أقواسه تكرر الشرق والغرب هذا مسيحي يتلوه إسلامي، يتلوه مسيحي ...

وكأن الرحالة محمد الحارثي حين انتقى وصف هذا الجامع له مغزى من ذلك، فهو يشير في وصفه للصراع الحضاري والسياسي والديني بين الشرق والغرب عبر الزمن، وكأن هذه النقوش والزخارف على تلك الحجارة الدليل والشاهد على صحة كلامه.

وتنقلنا الصفحات اللاحقة في رحلته إلى وصف انطباعه عن مدينة قرطبة، فهذه المرة تبدلت مشاعره تجاه الآخر تماما حيث يقول: «أحببت قرطبة كثيراً، وأحسست فيها بنوع من السلام الداخلي الذي لا تمنحك إياه المدن الغربية...»[36].

ويبدو أنه غير رأيه نتيجة المعاملة الطيبة من أهل قرطبة حيث يصفهم قائلاً: «أن أهلها طيبو المعشر ويبذلون قصارى جهدهم لمساعدة الغريب، والسائح التائه، في المتاهة اللذيذة لأزقتها البيضاء ...»[37]، وكان لتلك الأزقة تصوير راقٍ بعدسة عين الحارثي حيث يصورها في جمالها ورونقها تصويرا يشوق القارئ لرؤيتها ويمتع السامع بوصفها، ويتوسل المحروم من السفر لزيارتها، حيث يقول: «أزقتها التي يضوع منها الياسمين، وألوان الزهور المدلاّة بدلال خافت من بياض الشرفات، أزقتها المترنحة في الأماسي المقمرة بعبير النهر بين الإنشاد الموسيقي الأندلسي الحزين...، وترجمات وقصائد (ولاّدة) وابن زيدون...»[38]، وكان للعلماء والأدباء نصيب من وصفه، فأثناء تجواله في طرقات المدينة شاهد تمثالاً للفيلسوف ابن رشد أمام حديقة النصر، وقوراً في رخامه وعمامته، ولم يكد يخطو خطوات حتى وجد نصباً رخامياً آخر تعلوه كفان متعانقتان، كفان تختزلان تلك اللوعة العارمة التي شغلت قرطبة حيناً من الدهر بين ولادة وابن زيدون. الجميل في النصب أنه كان لا يظهر وجهيهما كما جرت العادة، وإنما كفان لا ينتهي عناقهما في الرخام والأيام.

(35) المصدر نفسه ، (بتصرف)، ص152.
(36) الحارثي،محمد؛ عين وجناح (بتصرف)، ص153.
(37) المصدر نفسه ، ص153.
(38) المصدر نفسه ، ص153.

- المحطة الثالثة: إشبيلية

كانت أول مشكلة تصادفه في هذه المدينة اللغة فلم يكن الدليل السياحي يتحدث غير الإسبانية التي لا تسمن ولا تغني باحثاً عن مسكن يسكن فيه، ويصف الحارثي مدينة إشبيلية قائلاً: «إشبيلية ليست كقرطبة، وليست كما يوحي مُتَخِيلُ الاسم العربي، فهي مدينة يطبعها طابع المدن الأوروبية متوسط الحجم، لولا بقاياها القديمة التي مازالت محتفظة ببقايا الاسم...»(39)، ويضيف قائلًا: «مدينة تطغى عليها أنماط البناء الأوروبي الكلاسيكي، والأشكال الهندسية الزجاجية الحديثة، ... وتمتاز بالمكتبات التوثيقية التي تحتوي على أمهات الكتب في كل العلوم والفنون والآداب بأغلب اللغات الحية...»(40)، وتتجلى صورة أخرى للآخر لم يكن في حسبان الذات – أغلب الأحيان – أن هذه المدينة التي تفوح بعطر حضارة العرب الخفي ونسيم ذكريات الحضارة الذهبية في أزهى عصور الذات أن تراها في أبهى صور الفقر فالبيوت على حد وصف محمد الحارثي «متواضعة البيوت ومحلات البقالة بسيطة، وحتى الملابس التي يلبسها الأطفال والبقالون والبناؤون رثة وبالية»،وختم رحلته بهذه القصيدة، قائلاً (41):

لكنما ولأدة في القصر..
والأهلون في الممشى إلى غرناطة..
والورد في النهرين..
والجسر المرفرف في تعاشيق الكوى ..
عصفورةٌ طارت بغُصن القلب ..
والله في القلبين قلبٌ ..
ماء زمزم، ..
مريم العذراء ..

(39) المصدر نفسه ، ص157.
(40) المصدر نفسه ، ص157.
(41) الحارثي، محمد: عين وجناح المصدر نفسه، ص160.

3 - رحلات محمد بن سيف الرحبي إلى بعض دول أوروبا (إسطنبول، باريس، لندن، ألمانيا).

- المحطة الأولى : إسطنبول حلم بين قارتين.

مدينة إسطنبول كما صورتها عدسة الكاتب محمد الرحبي «تظهر عليها قباب المساجد من الجانب الأسيوي، والبحر يأخذ مساره داخل شرايين المدينة...»[42]، مساجد المدينة خير شاهد على حضارة الدولة العثمانية، وأسواق إسطنبول مغطاة بجميع إبداعات الشرق والغرب، ويذكر أنه سمع في قاعة التراث الإسلامي صوت مقرئ يقرأ القرآن ومن حوله تسير المواكب من السياح الأوروبيين بما لا يتناسب مع عظمة القرآن الكريم، وفي صالة القاعة رأى سيف الرسول الكريم، وسيوف الخلفاء، وسيف خالد بن الوليد وعدداً من الصحابة، وجزء من باب الكعبة الخشبي، والإطار الذهبي للحجر الأسود، إضافة إلى عصا سيدنا موسى وعمامة النبي يوسف وشعرات من رأس النبي ﷺ[43]، وحين ودع الرحبي إسطنبول أطل من نافذة الباخرة لتأسره خواطره تجاه أوروبا، مودعاً تلك المدينة التي دام توسلها سنوات طويلة لتصبح جزءاً من أوروبا.

- المحطة الثانية : باريس «عطر وأنثى وقصيدة».

عبر الأمكنة التي زارها الكاتب في أوروبا كانت باريس مدينة تتوارى في أعماق حلمه لعلها تستيقظ على واقع الحقيقة فيراها كاتبنا بعين الجمال ويصور سحرها بالعطر الزاكي وجمالها بالعذراء.

تحدث الرحبي عن جمال المدينة وطاف بتاريخها الراقي وتحدث عن ملامحها الحضارية فعرض صوراً بديعة لتاريخ باريس، وعمارة فرنسا التي تتزين كتاريخها بلمسة الفن والجمال، ففي باريس تحاصرك الفنون في كل شيء تقع عليه عيناك.

أما حدائق باريس ففي كل ركن منها فصل من فصول السنة، وركن هادئ

(42) الرحبي، محمد بن سيف: شذى الأمكنة، رحلات صحفية (1)، ص48.

(43) المصدر نفسه ، ص51.

للتأمل والراحة، فهي تسر الناظر وراحة للوجدان.

أما في أزقتها فتجد المقاهي ذات الطابع الفرنسي ورائحة القهوة التي يفوح تأثيرها عبر تلك الأزقة. أما ساحاتها الجميلة فهي معارض متنقلة للتحف والفن الرفيع. ويتربع على عرش جمال باريس برج إيفل فهو عملاق الجمال الفرنسي، وأخيرا وصف روعة الجمال فيها قائلاً: "أقول إن الأنوثة اسمها باريس، مرت قرون من الجمال في شوارع هذه الغانية/المدينة ... أجساد رسمت بعناية كأنك أمام لوحة أو مشهد سينمائي منتقى.." [44].

- المحطة الثالثة : لندن «مدينة من حلم وضباب»

وصف مدينة لندن بأنها عاصمة الحلم والضباب، وأن عمارتها ومبانيها غاية من الجمال المعماري الذي لا يليق إلا بإمبراطورية مثلها. وحدائق لندن تتزين كعمارتها بلمسات الفن والجمال، وكل مدينة تروي حكايتها، أما ساعة بج بن فتمثل علامة التاريخ في بريطانيا، ولندن ذات حضارة ومعمار يناطح السحاب ولها تاريخ حافل بالبطولات والحروب وتقف أغلب التماثيل شاهداً ومعلماً هاماً على تاريخها، أما من حيث مستواها الثقافي فهي تمثل ثقافات متعددة، وللصحافة العربية حضور قوي في شوارع لندن، وأسواقها تعج بجميع الجنسيات في العالم[45].

- المحطة الرابعة : ألمانيا «قيثارة تعزفها رياح الشتاء الباردة»

يصف الرحبي ألمانيا قائلاً: «ألمانيا ليست ناطحة سحاب وحيدة بل معزوفة موسيقية نابضة بالحياة، يقدمها الغرب الأوروبي، ...المعزوفة الأقوى بما تحاول أن تتمسك به في وجه الهيمنة الأمريكية»[46].

زار مدينة لايبزيغ لحضور مهرجانها السنوي للأفلام الوثائقية، ويذكر أنها تتحول

(44) الرحبي، محمد: شذى الأمكنة ، ص73.
(45) المصدر نفسه ، ص86.
(46) الرحبي، محمد: شذى الأمكنة ، ص133.

إلى سوق أسبوعية أشبه بتجمعات الهبطة في السلطنة، ومرة تتحول إلى ميدان الموسيقى العسكرية.أما المحطة الأخرى فكانت استوديوهات بابلسبيرج، حيث يصور هذه المنطقة أنها أشبه بدخول حديقة، مبان جميلة تحيطها أشجار بالغة الجمال. وأما عن ثقافة هذه المدينة فتحوي مكتبة بها آلاف الكتب عن السينما، وكذلك دراسات وبحوث ووثائق تحملها أرفف المكتبة.

ويحدث الرحبي قارئ رحلاته عن مدينة أخرى استوقفته بسحرها الفني، إنها مدينة «لايبزيغ» فقد استوقفته اللوحات المرسومة بارتفاع المبنى، وأخذ في تصويرها، وقد وصف هذه المدينة بأنها عاصمة الفن والجمال.

المباني الرسمية في ألمانيا لها طابع مميز، والخضرة تملأ أرجاء المدينة، وكذلك المباني الحكومية لها طابع معماري خاص، ومن المباني التي زارها مبنى البرلمان الألماني، وتجول في قاعة البرلمان من الداخل.

ومن المدن الراقية التي حظيت بالاهتمام في رحلته إلى ألمانيا مدينة هامبورج، حيث وصفها قائلاً: «مدينة لها ملامح تدعة للحياة أفضل من العاصمة برلين...»[(47)]، وبعدها رحل الرحبي إلى مدينة فرانكفورت ومن ثم حزم أمتعته ليعود إلى مكانه الأول والأخير عُمان.

إن رحلات محمد الرحبي إلى الدول الآنف ذكرها له طابع خاص في تأثره بها ومحاولة نقل تأثره صراحة وضمنا في أغلب الأحيان، ففي حوار معه حول خصوصية الكتابة عن الرحلة إلى أوروبا وتخصيص الحديث عن أربعة بلدان أوربية في كتابه «شذى الأمكنة»، أجاب قائلاً: «بلدان أوروبا لها طبيعتها الخاصة مثلما هو الأمر مع بلدان آسيا، وأنا لا أختار، أي بلد أزوره أكتب عنه، سواء في أوروبا أو أفريقيا أو آسيا، ولم أخطط لتكون في كتاب، ولكني بعد أن تراكمت المدن ونصحني الأصدقاء بضرورة تجميعها في كتاب نفذت الفكرة»[(48)].

مما تقدم من رحلات العمانيين إلى أوروبا، حاول الرحالة العماني أن يبرز

(47) المصدر نفسه ، ص149.

(48) مقابلة مع الكاتب محمد بن سيف الرحبي: 2سبتمبر 2009م.

الآخر في صورة إيجابية، ويمتع القارئ بالصور الراقية التي رسمها للدول التي زارها، ويعلي من شأن حضارة الآخر، ويعلن تفوقه على الذات في الحضارة والعمران والفن والجمال، إلا أن هذا الإعجاب بالآخر والالتفات نحوه كان ينغصه عجز الذات عن مواكبة الآخر في لغته الخاصة كما حدث عند الرحالة سعيد بن حمد رحمه الله، ومحمد الحارثي حين أعوزت الأول اللغة التركية والآخر اللغة الإسبانية.

لم تكن الذات لترضى عن حالة الأديان السماوية واللامبالاة بها من قبل الآخر، رغم إعجاب الذات بأخلاق بعض أهل أوروبا، أو لترضخ لمساومة أخلاقية كما تعرض محمد الحارثي لذلك.

إن رؤية الرحالة العماني للغرب كانت رؤية جمالية، تهدف لإظهار الجميل لدى الآخر، وفي الغرب نكهة العصر هي المسيطرة رغم البنايات القديمة التي تقف صامدة ضمن ما تبقى وصمد من حطام الحرب العالميتين الأولى والثانية ...

الفصل الرابع

رحلة السلطان خليفة بن حارب [49]

إلى أوروبا أنموذجاً

التقديم المادي للرحلة :

هي رحلة سجلها كاتب، ومرافق السلطان سعيد علي بن جمعة المغيري[50] في كتابه «رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا (-1937 1960م)»، وكانت عبارة عن مخطوط في وزارة التراث والثقافة العمانية، حققه محمد علي الصليبي، والمخطوط عبارة عن ثلاث رحلات إلى أوروبا، الرحلتان الأولى والثانية رسميتان وهما:

رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى بريطانيا لحضور تتويج الملك جورج[51]، وذلك في الثاني من إبريل عام 1937م.

رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى بريطانيا لحضور تتويج الملكة إليزابيث الثانية[52]، وذلك في الثاني من شهر يونيو عام 1953م.

أما الرحلة الثالثة (غير رسمية)، وهي: رحلة السلطان خليفة بن حارب (غير الرسمية إلى لندن) وذلك في الأول من شهر يونيو عام 1960 م.

- الرحلة تشمل مقدمتين:

الأولى: مقدمة محمد علي الصليبي، وتحدث فيها عن الآتي:

- الرحلة وأهميتها والأغراض التي كانت تكرس لها من العصر الجاهلي وما لها

(49) السلطان خليفة بن حارب بن ثويني بن سعيد بن سلطان، ولد في مسقط عام 1297هـ الموافق 1879م، تولى عرش زنجبار (17من ذي الحجة 1329هـ الموافق 11ديسمبر 1911م) أما وفاته فكانت عام 1960، انظر المغيري، جهينة الأخبار، ص424.

(50) سعيد بن علي بن جمعة المغيري ، ولد بعمان في فلج المشايخ بناحية جعلان سنة 1300هـ أرسله جده إلى الجزيرة الخضراء 1323هـ وقد تقلد عدة مناصب، وحصل على وسام الكوكب الدري من الدرجة الثانية، وفي عام 1354هـ/1937م حظي بمرافقة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا لحضور تتويج الملك جورج السادس. انظر: المغيري، جهينة الأخبار، ص47.

(51) انظر الصورة ملحق(3 - 4) ، ص149.

(52) انظر الصورة ملحق(3 - 5) ، ص 150.

من دور في التجارة وخصَّ بالذكر (رحلات الشتاء والصيف) التي كانت من أهم رحلات قريش ففي الصيف رحلة إلى بلاد الشام، وفي الشتاء إلى جنوب الجزيرة العربية (اليمن وما جاورها).

- الطرق البرية والبحرية التي سلكها العرب في رحلاتهم.

- عرب الجزيرة العربية عامة، وعرب عمان خاصة من أشهر رجال البحر في الجاهلية وفي الإسلام.

- ذكر المحقق أن الرحلات اتسع نطاقها في العصر الإسلامي موضحاً مقاصد الأسفار، ويرجح المحقق أن الحج إلى بيت الله الحرام يعتبر أهم عامل من العوامل التي نشَّطَت الأسفار والرحلات بالإضافة للعوامل المختلفة.

- يخص المحقق بالذكر رحلات الحكام والسلاطين وحرصهم على الرحلات.

- يذكر في مقدمته - أيضا- أن أدب الرحلات بلغ ذروته ونضجه الفني وتنوع أساليبه في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي.

- قسم المادة التي يتضمنها أدب الرحلات إلى إلى ثلاثة عوامل:

عامل الزمان: يرصد تحته كل ما يتعلق بالأحداث والوقائع.

عامل المكان: يشمل الوصف للأشكال والتضاريس والبحار والمحيطات والمدن والقرى التي سلكها الرحالة.

عامل الإنسان: يتمثل في الاهتمام بكل ما يتعلق بالإنسان من قواعد سلوكية وعادات وتقاليد ومراسم وحكايات وخرافات شعبية. ويشير المحقق أن المنهج القائم على هذا التقسيم لا يشير للدقة المنهجية.

- تحدث عن رحلة السلطان خليفة بن حارب ورسم لها ملخصاً مختصراً.

- وضع ترجمة بسيطة لمؤلف الرحلة في نهاية المقدمة.

الثانية : مقدمة سعيد بن علي بن جمعة المغيري، وتشمل الآتي:

- بدأ مقدمته بحمد الله ثم استشهد بآية من القرآن الكريم وبعد ذلك الصلاة على النبي ﷺ.
- تحدث بعد ذلك عن صحبته للسلطان خليفة بن حارب، سلطان زنجبار في رحلته إلى لندن.
- ذكر في مقدمته الهدف الأساسي من الرحلة: حضور حفل تتويج الملك جورج السادس.
- ذكر أنه رأى العجب العجاب في سفره وأنه من غرابة ما رأى دفعه ذلك لتدوين الرحلة.
- أنهى مقدمته بالدعاء وطلب التوفيق من الله.

محتوى الرحلة، ويضم وصف ما يتصل بالرحلة ذاتها:

حدد المؤلف وقت الرحلة بدقة، حيث بدأت عصر يوم 19 محرم من يوم الجمعة 1359هـ الموافق 2 إبريل عام 1937م، وحدد مكانها (السفر إلى أوروبا). ووصف أيضاً الاستعداد للرحلة ومراسم توديع السلطان خليفة بن حارب في زنجبار وممباسة. وحدد وسيلة السفر: (الباخرة السلطانية آل سعيد) [53]، واتّبع وصفاً متسلسلا لجميع أحداث الرحلات الثلاث الزمانية والمكانية.

أولا ً: ملخص وصف خط سير الرحلة الأولى .

- السفر من دار السلام إلى ممباسه[54] :

بدأ بالسفر إلى ممباسة، حيث حدد تاريخ الوصول بدقة (3 إبريل عام 1937م) وساعته (الواحدة إلا خمس دقائق)، ثم بدأ يصف أهم الأحداث التي حدثت من ضيافة واستقبال وتطبيق لعادات الكرم والضيافة، ثم يحدد وسيلة السفر من ممباسة

(53) انظر الملحق رقم (3 - 10)، ص152.
(54) انظر الملحق رقم (1 - 2)، ص142.

(الباخرة) ويصف انبهاره بطولها وشكلها ورونقها الخارجي، كما فصّل بعض الشيء في حديثه عن محتواها الداخلي وما بها من مظاهر ترف وراحة وعادات الأكل في هذه الباخرة، ويصف أخلاق السلطان وحسن معاملته، ويضيف لذلك كله جوانب الترفيه ومن ضمنها الكرة وبعض الألعاب الرياضية، وقد نقل لنا صورة عن العلاقات الإنسانية التي توطدت على متن الباخرة واصفاً جميع الركاب أوصافاً حسنة، وأخيراً ينهي حديثه بشكر من قابلهم ويشيد بحس معاملتهم وما قدموه من معروف خلال الرحلة.

- الوصول إلى بندر عدن [55]:

وصف الوقت (الساعة العاشرة) والتاريخ 28 محرم عام 1356هـ الموافق 10 إبريل عام 1937م.

ذكر أهم الأحداث والأشخاص الذين التقى بهم السلطان وأشهر المعالم التي زارها ومن أهمها بيت الأمان ومدرسة خصصت لأبناء الملوك والشيوخ، ثم ذكر أهم الأحداث التي وقعت للسلطان في المدرسة، أخيراً يذكر مغادرة السلطان للمدرسة ورجوعه للباخرة لمواصلة سير الرحلة.

- وصول الباخرة إلى السودان (56):

كان ذلك في الساعة الخامسة من اليوم العاشر من شهر إبريل، ويذكر المؤلف أن السلطان لم ينزل في (نبط)السودان سوى نصف ساعة، ثم يصف بصورة سريعة أرض السودان بأنها أرض مستوية والجبال عنها بعيدة، ويشق المدينة خور من نفس البحر الكبير...

- وصول الباخرة إلى مدينة السويس[57]، ثم الاسماعيلية، وبورسعيد [58]:

تحدث فيها عن زمن الوصول (السابع عشر من شهر إبريل)، ثم بدأ بوصف الأماكن ووصف ما أدهشه فيها، ثم تحدث عن عادات أهلها وأخلاقهم وما لقيه السلطان من إجلال وتعظيم.

(55) انظر الملحق رقم (2-2)، ص142.
(56) انظر الملحق رقم (2-3)، ص143.
(57) انظر الملحق رقم (2-4)، ص143.
(58) انظر الملحق رقم (2-5)، ص144.

- السفر من بور سعيد إلى مرسيليا (18/ إبريل/ 1937م) [59]:

وضع المؤلف منذ خروجه من بورسعيد البلاد التي رآها حتى وصوله إلى مرسيليا في فرنسا ملخصاً واصفاً ما رآه من طبيعة وخاصة عند وصول الباخرة إلى الجبال اليونانية وملابس أهل تلك البلاد والجو الذي يسودها (البرد) وما لهم من عادات كالرقص والموسيقى، ثم يذكر بعد ذلك أنه وصل في يوم 25 إبريل، الأحد. واصفاً مدينة مارسيليا وقصورها وأن قطاراتها تضج كصوت الرعد وما شاهد من العجيب فيها.

- سفر السلطان من مارسيليا إلى باريس بالقطار(25 إبريل)[60]:

وصف رحلته بالقطار وما شاهده في طريقه من مزارع وشوارع ومدن جميلة، ووصف باريس بأنها: (عروس الدنيا، بل وجه الدنيا، بل إنسان عينها)، ثم وصف طريقة الضيافة والأماكن التي زارها وما أعجبه فيها من مناظر ساحرة، ويبدو من خلال الوصف أن السلطان خليفة مكث في باريس 5 أيام فقد سافر بالقطار في بداية شهر مايو.

- وصول السلطان إلى لندن في (الأول من شهر مايو)(61):

وصف لنا مظاهر الاستقبال وما حدث أثناء إقامة السلطان في لندن وتحدث عن بعض المفارقات التي وقعت له ثم فصّل تنظيم وصول الملك جورج السادس وما حدث في الكنيسة من أحداث مثيرة وكيف تم تتويج الملك وكيف تم ترتيب خروجه وأسرته من الكنيسة بصورة مرتبة واصفاً أفواج الناس، ويذكر أن ذلك السرور الذي عمَّ الجميع كدّره نزول الأمطار الغزيرة، وأن الزينة أصابها التغير والكسوف فلم يتمكن الناس من مشاهدتها والتفرج عليها في طرق لندن.

- عودة إلى إقامة السلطان في لندن:

وصف جولات السلطان وما رآه في لندن وأهم الأماكن التي زارها ومنها القصور، والمتاحف، والحدائق(62) وأهم الشخصيات التي التقى بها مثل الملك فاروق ملك مصر وما حدث بينهما، كما وصف لنا لباس الأمراء العرب الذين

(59) انظر الملحق رقم (2 - 6)، ص144.
(60) انظر الملحق رقم (2 - 7)، ص145.
(61) انظر الملحق رقم (2 - 8)، ص145.
(62) انظر الملحق رقم (3 - 9)، ص152.

حضروا مناورة حربية وذكر لنا أن السلطان خليفة قد استمتع كثيراً في إقامته.

- توديع السلطان لملك بريطانيا في 26 مايو 1937م:

يصف المؤلف بأن السلطان ودع ملك بريطانيا وهو فرح مسرور، ثم يرسم وصفاً بديعاً عن مدينة لندن وما رآه فيها من أماكن وقصور وما بها من العادات، والتقاليد، وطرق المعيشة، والأدب واصفا رجالها ونسائها بأنهم في قمة الذوق والأدب والأخلاق واحترام الضيوف .

- سفر السلطان من لندن في 29 مايو 1937م(63):

ذكر لنا وسيلة السفر (الطائرة) ونوعها (سنتراس) والمدن التي مر بها (روما، برنديزي، أثينا) ويحدد المسافات التي قطعها بدقة حتى وصل مدينة الإسكندرية.

- وصول السلطان إلى الإسكندرية يوم الأحد 30 مايو 1937م[64]:

وصف لنا طريقة استقبال السلطان وأهم الشخصيات التي قابلها والأماكن التي زارها، ثم أفرد وصفاً خاصاً لمدينة الإسكندرية، وذكر أن السلطان أقام بها ثلاث ليال وما لقيه من احترام وتكريم وما كان للعساكر من دور في خدمته واصفاً لباسهم ونوعه وعظمة القصر الذي نزل به السلطان.

- سفر السلطان إلى القاهرة في يوم 2يونيو 1937م[65]:

وصف المؤلف أهم الأحداث في محطة القطار ومراسم استقبال السلطان وما حدث في القاهرة، ثم يخص بعض الأماكن التي زارها السلطان في القاهرة ويفرد لها وصفاً خاصاً، مثل: زيارته لمنطقة الآثار الفرعونية في الأقصر.

- سفر السلطان إلى بورسعيد في يوم 10 يونيو من العام نفسه:

ذكر ملخصاً يتحدث فيه عن أهم الأحداث التي حدثت للسلطان والشخصيات التي قابلها، ثم يضع لنا ملخصا شاملاً عن مدينة مصر القديمة واصفا نهرها العظيم ومنبعه وطبيعتها الجغرافية وأهلها وعاداتهم، كما يذكر لنا المؤلف شيئاً وفيراً عن تاريخ مصر والدول التي حكمتها (الدولة الفاطمية، الأيوبية، العثمانية) والدول

(63) انظر الملحق رقم (2 - 9)، ص146.
(64) انظر الملحق رقم (3 - 1)، ص148.
(65) انظر الملحق رقم (3 - 2)، ص148.

التي استعمرتها مما يدل على ثقافة المؤلف وسعة اطلاعه في الجوانب المختلفة.

بعد ذلك يصف خروج السلطان من مصر في مركب مروراً بخليج السويس في يوم 12 يونيو حتى وصوله السودان واصفاً لنا تقلبات الأحوال المناخية ويذكر لنا تفاصيل كثيرة حتى وصوله ممباسة في يوم 24 يونيو وركوبه المركب (آل سعيد) متجهاً إلى زنجبار.

- الوصول إلى زنجبار في يوم 27 يونيو:

يصف المؤلف مظاهر البهجة والسرور والأفراح ومراسم الاحتفال بعودة السلطان سالماً إلى زنجبار.وقد أنهى المغيري وصف رحلته برسالة اعتذار رائعة للسلطان خليفة بن حارب.

ثانياً: ملخص الرحلة الثانية .

حدد المؤلف وصفه للرحلة الثانية، وقد اختصرته في الآتي:

سافر السلطان خليفة بن حارب[66] وزوجه نونو بنت حمد بن حماد السمار ومؤلف الرحلة سعيد بن علي المغيري والسكرتير الخصوصي والطبيب الخاص في يوم 30 إبريل 1953م في المركب (آل سعيد) من زنجبار إلى الجزيرة الخضراء حتى يودع رعاياه ومن ثم توجه إلى ممباسة وفي يوم 4 مايو 1953م تسنم المركب المسمى كينيا وفي يوم 8 مايو وصل إلى عدن ونزل فيها ومن ثم وصل المركب 13 مايو السويس وفي صبيحة اليوم التالي وصل بورسعيد ومن ثم وصل المركب مرسيليا في يوم 16 مايو[67] واستمر في إبحاره باتجاه جبل طارق حتى وصل بمحاذاته في يوم 18 مايو[68] وزار السلطان الجبل والقلعة الموجودة فيه ويذكر

(66) انظر الملحق رقم (3 - 7)، ص151.
(67) انظر الملحق رقم (2 - 10)، ص146.
(68) انظر الملحق رقم (2 - 11)، ص147.

المؤلف أنه رأى مدينة طنجة من أعلى جبل طارق، وفي ليلة 23 مايو[69] وصل المركب إلى لندن[70] ويصف المؤلف مظاهر استقبال السلطان وزوجته[71]، ونزوله بقصر جميل، ثم يذكر حضور السلطان لحفل الغداء والشاي الذي أقامته جلالة الملكة والألوف المؤلفة من البشر الذين حضروا، ويصف قصرها وما رآه من الأبهة العظيمة فيه، بعد ذلك يحدثنا عن يوم التتويج الذي يحدد تاريخه (الثاني من يونيو 1953م)، ويرسم لنا صورة عن تلك الجموع التي اصطفت في شوارع لندن وفي الكنيسة ولا يسرد خبر التتويج في الكنيسة معللاً ذلك بأن تتويج الملوك الإنجليز في الكنيسة قاعدته لا تختلف.

ثالثاً: ملخص الرحلة الثالثة.

وهي رحلة غير رسمية إلى لندن مع زوجه، ومؤلف الرحلة سعيد بن علي المغيري، والسكرتير الخاص، والطبيب الخاص في شهر يونيو عام 1960م[72].

يصف الأحداث والشخصيات التي قابلها السلطان وزيارته لسعيد بن تيمور سلطان عمان ومسقط في لندن[73] وذكر لنا سفره إلى باريس وما رآه من عجيب، ثم يسرد خبر عودة السلطان لزنجبار في 3 أكتوبر 1960 م واحتفال أهالي ممباسة وزنجبار بقدومه، ثم يختتم لنا ملخص رحلته بخبر وفاة السلطان خليفة بن حارب في ليلة السابع من أكتوبر 1960 الموافق 17 ربيع الآخر 1380هـ، ويسرد ما حل بأهل زنجبار من الحزن والأسى العظيم لوفاته.

(69) انظر الملحق رقم (2 - 12)، ص147.
(70) انظر الملحق رقم (3 - 11)، ص153.
(71) انظر الملحق رقم (3 - 8)، ص151.
(72) انظر الملحق رقم (3 - 12)، ص153.
(73) انظر الملحق رقم (3 - 3)، ص149.

خاتمة الرحلة:

لم تكن هناك خاتمة محددة من قبل المؤلف للرحلة بل انتهت بانتهاء الحديث عن وفاة السلطان خليفة بن حارب. كما أن المحقق لم يضع خاتمة لتحقيق المخطوطة.

أهمية الرحلة:

هي الرحلة الأولى من رحلات السلاطين في القرن العشرين، وتأتي في المرتبة الثانية في ترتيب رحلات الحكام والسلاطين إلى أوروبا، وتستمد رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا أهميتها من مصدرين رئيسين:

أولاهما: العصر الذي تمت وكتبت فيه الرحلة، فمعروف أنها كتبت في عهد السلطان خليفة بن حارب الذي قام بمجموعة من الإصلاحات، منها القومية والعلمية والطبية فقد أنشأ مخازن لحفظ القرنفل لمن أراد مجاناً، كما قام بتوسيع إدارة العلوم والطب في الأرياف ورصف الطرقات ووحد جميع الطوائف في زنجبار، وكانت علاقته وثيقة بالمعتمد البريطاني في زنجبار فقد كانت بينهما زيارات متبادلة في كل اثنين وأربعاء.

إن زمن الرحلة في النصف الأول من القرن العشرين، وهي الرحلة الثانية إلى أوروبا في ترتيب رحلات الحكام والسلاطين، فهذه الرحلة تعد من أهم الرحلات العمانية إلى أوروبا، وهي رحلة لها أهميتها في أدب الرحلات العمانية إذ أن الرحلة تضم رحلتين مهمتين لمناسبات وطنية في أوروبا (حضور حفل تتويج الملك جورج السادس[74] وحضور تتويج الملكة إليزابيث[75]).

(74) انظر الملحق رقم (3 - 4)، ص149.
(75) انظر الملحق رقم (3 - 5)، ص150.

كما تمثل الرحلة نقلة كبيرة في تطور أدب الرحلات العمانية وخروجها من نطاق الإقليمية التي تنظر للذات في حدودها الإقليمية إلى النظر باتجاه الآخر (الغربي) ورسم صورته في ذهن الرحالة العماني.

وقد امتدح الشاعر صالح بن علي الخلاسي[76]، السلطان خليفة بن حارب، وتحدث عن عزمه للسفر إلى لندن قائلاً [مجزوء الكامل] [77]:

عـزم المليـك على السـفر	طلـب التمـدن والنظـر
سـر في أمان اللـه يـا خير	الملـوك لنـا ظهـر
سـر بالسـلام مظفـراً	والأمـن فـي ظـل القـدر
يـا لنـدن تيهـي فـذا	سـلطاننا الشـم الأبـر
ملـك لـه وصفـان	حلـمٌ ثـم بطـشٌ مسـتقر
ملـك لـه فـي كفـه	بحـر النـدا يهـب الـدرر

ثانيهما: المغيري صاحب الرحلة الذي عاشها ودونها، وعندما نقول أن سعيد المغيري صاحب الرحلة فلابد أن نتنبه لأمور عدة اجتمعت في كاتب الرحلة، فهو رجل امتاز بالذكاء وبروح شرقية صميمة وطبيعة خيرة عمقتها تربيته على يد جده العلامة جمعة المغيري في عمان، وعمه محمد بن جمعة المغيري في الجزيرة الخضراء، كما أن المنصب الذي يشغله في عهد السلطان خليفة بن حارب (عضويته في المجلس التشريعي) وكونه أديباً ومؤرخاً يملك ثقافة واسعة، وهو بلا ريب يملك بعض المصادر التي يلاحق فيها أصول موضوعه؛ وقد ساعد ذلك على منح الرحلة شرعية تاريخية وأدبية في آن واحد، ومن هنا كان اختيار الرحلة للدراسة والتحليل.

(76) صالح بن علي بن مسلم الخلاسي(ت : أواخر ذي الحجة 1362هـ / ديسمبر 1943م) له ديوان لا يزال مخطوطاً. انظر السعدي، معجم شعراء الإباضية، 1/223 - 224.

(77) البوسعيدي، حمد: قلائد الجمان في أسماء بعض شعراء عمان، 2/212.

الدراسة الفنية للرحلة:

وباستعراض النص الذي بين أيدينا يمكن أن نقف على بعض المواضع التي يتضح فيها العديد من الظواهر الفنية للرحلة.

أولاً: الأسلوب واللغة والمنهج

الأسلوب

تأثر كاتب الرحلة بأسلوب وطريقة الكتابة التي شاعت عند أغلب الرحالة العرب، وهي طريقة تعتمد على المبالغة في السجع والجناس المتكلف، والطباق (الأسفار والأبصار)، (أخبار واعتبار)، (المخلوقات ودرجات)، والاقتباس من القرآن الكريم وتضمين الشعر، والصور البيانية الجميلة. فقد كان المغيري يفتتح كلامه بفقرات مجودة مزينة بالسجع والجناس المتكلف في بعض الأحيان، ومن ذلك قوله في وصف المركب آل سعيد: «أحسن تنظيم وأبهج رونق وأكمل نظافة...»[78]، وكذلك وصفه للبحر قائلًا: «كان البحر هادئاً ساكناً ليناً ذلولًا متواضعاً لمقام السلطان...»[79]، ووصفه لزنجبار بـ «الجزيرة الخضراء، طيبة الهواء...»[80]، أيضاً قوله: «أرباب المناصب والمراتب...»[81]، ومن الصور الجميلة التي يوردها في وصف السلطان وهو في الباخرة قائلاً: «تصحبه السلامة، ويحفه النصر...»[82]، وفي وصف تناول المائدة على الباخرة يقول: «تسمع صليل السكاكين والملاعق على صفحات الصحون ...»[83].

يتسم أسلوبه ومنهجه في سوق أخبار الرحلة بالاستطراد، فما أن يذكر موضوعاً من الموضوعات حتى تراه يندفع وراءه يشبعه تفصيلاً حتى في جذوره وأدق متعلقاته في

(78) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب، ص 16.
(79) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب ، ص 18.
(80) المصدر نفسه ، ص 108.
(81) المصدر نفسه ، ص 108.
(82)المصدر نفسه ، ص16.
(83) المصدر نفسه ، ص17.

أغلب الأحيان، فحين زار قصر فرساي في غرب باريس بدأ يندفع في وصف ذلك القصر والحديث عن تفاصيله ومتعلقاته قائلاً: «ثم قصد التفرج على قصر فرساي في غرب باريس، الذي بناه الملك لويس ملك الشمس المتوفى في عام 1715 ميلادية، ومساحة هذا القصر نصف ميل، وعن الخبر فهذا القصر أعظم قصر في الدنيا، وعلى جوانب هذا القصر بستان واسع طوله ومساحته خمسة آلاف أيك...»[84].

كما تميز أسلوبه في بعض الأحيان بالحكمة التي تمحضت عن التجربة من خلال بعض المواقف في رحلته حيث يقول: «ومن طلب المعالي، فلا يبالي»[85]، والمغيري من أوسع الرحالة العمانيين فكراً وأشملهم ملاحظات وأسهلهم أسلوباً وأسلسهم بيانا؛ فلم يترك شاردة ولا واردة إلا اهتم بها، وفصل الحديث عنها، وكان شديد العناية بالتحدث عن أحوال البلاد التي زارها ومر عليها في طريقه وذكر عاداتها الاجتماعية المختلفة وحضارتها، وقد استخدم أسلوب الاختصار والتفسير والتطويل والإطناب؛ ولعل ذلك بحكم خدمته للسلطان.

وقد اعتمد المنهج الوصفي إلى جانب سرد الأحداث بصورة دقيقة ومتسلسلة، فكان دقيقاً في تسجيل الساعة والتاريخ والمكان في كل رحلة مما يدل على عنايته الشديدة واهتمامه البالغ بجميع الأحداث التي رآها وأمانته في وصف الواقع ونقل الحقائق.

اللغة (المعجم اللغوي):

جاءت ألفاظه سهلة واضحة بعيدة عن التعقيد والغرابة، كما أن معجمه اللغوي لم يأت بألفاظ غريبة مبهمة تحتاج لاستيضاح؛ لكنه في بعض الأحيان كان يورد كلمات غير معربة مثل «الدنسة « أي الرقص ومن ثم يتضح معناها في تفصيل الحديث عنها، وأيضا كلمة «بلدنج « أي المباني وقوله: «نمرة بيتنا « أي رقم

(84) المصدر نفسه ، ص32.
(85) المصدر نفسه ، ص43.

البيت، وكذلك كلمة «تاكسي» أي سائق الأجرة، وكلمة «نو» أي «لا»وكلمة «البوليس» أي رجال الشرطة، وغير ذلك من الألفاظ الأجنبية.

كما وردت بعض الألفاظ العامية في رحلته مثل قوله: «الريل» أي القطار، وقد كانوا يستخدمون كلمة «الريل» في زنجبار، كلمة «الدكان» ويقصد بها المحل أو المجمع التجاري.

وقد نوّع المغيري في استخدامه للضمائر المتصلة بأفعال الرحلة فتارة يسندها إلى ضمير الجمع المتكلم كقوله: «أقلعنا، ركبنا، دعينا، زرنا، دخلنا، تجولنا، مررنا، رأينا»، وتارة بصيغة الضمير العائد للغائب كقوله: «قصدَ، أقبلَ، يجدُ، تفرّجَ» وتارة أخرى إلى ضمير المفرد المتكلم مثل قوله: «تيقنتُ، ضللتُ، أقولُ، رأيتُ، كتبتُ» الأمر الذي أكسب الأفعال حيوية وحركة تنسجم مع فعل الرحلة.

وقد حفلت الرحلة ببعض الجمل المعترضة وبخاصة الدعائية، ثم إن تكرار هذه الجمل لم يؤثر سلباً في سير الرحلة، ولعل عناية الرحالة بها يعود لاعتبارها من الأصول التي يعتمدها التعبير الأدبي في العصور كافة، ومن ذلك قوله: "أبقاه الله"، "الحمد لله"، "أدام الله بقاءك وعزك – آمين"، "أدام الله له الفرح والحبور".

تبرز النزعة الدينية في لغة المغيري، وهذا ليس بغريب على عالم درس الشريعة دراسة وافية، فنجده يقتبس أثناء سرده للرحلة آيات من القرآن الكريم، فقد استهل في مقدمته للرحلة بقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾70، وفي موضع آخر: ﴿ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّهَ رَمَى ﴾17 .

كذلك تضمين المغيري الشعر في الرحلة احتل فضاءً ضمن فضاء الرحلة النثرية، ومن ذلك قوله بعد الانتهاء من تدوين الرحلة الأولى [بحر الرجز][86]:

فَـإِنْ تَجِـد عَيبـاً فَسُـدَّ الخَلَلا قد جَلَّ مَن لا عَيبَ فيـه وعَلا

(86) قائل الأبيات سعيد المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب، ص 109.

وأيضاً في حديثه عن فاجعة وفاة السلطان خليفة بن حارب مضمناً قول المتنبي[بحر الوافر] (87):

أتتهُنّ المصائب غافلاتٍ فدمعُ الحزنِ في دمعِ الدلالِ

المنهج :

أما المنهج الذي اعتمده الكاتب في كتابة الرحلة فقد لزم ترتيباً زمنياً مثيراً للدهشة، من حيث سرده للأحداث ودقته في التصوير واهتمامه بتفصيل ما رأ ى من مناظر مختلفة، حيث ينقل المتلقي إلى عالمه يوماً بيوم ولحظة بلحظة معتمداً على معاينته للواقع أو سماعه للأخبار ومعايشته للأحداث مما يشعر المتلقي بصدق حديثه، كما أنه التزم منهجاً تاريخياً من حيث اهتمامه بالتواريخ ودقة كتابتها والعناية بها، ومنهجاً جغرافياً في وصفه للبلدان والمدن في الدول التي زارها أو مر عليها في رحلته.

ثانياً: الوصف :

احتل الوصف مكانة كبيرة في الرحلات، فللوصف أبعاد جمالية، بما قدم كاتب الرحلة من رسم لملامح الشخصيات أو إضاءات عن المواقع والأحداث، حيث حاول المغيري رصد كل ما شاهده وسمعه ومن ثم دونه في رحلته وسجل كل ما وقعت عليه عينه من مشاهد شتى تتعلق بالمسالك والممالك والسكان والمخلوقات وما يتعاطاه الناس من مختلف الأنشطة والمناسبات والأعياد والعادات والتقاليد، والمتتبع لوصف رحلة السلطان خليفة بن حارب يجد أنه احتل مرتبة كبيرة في بناء الرحلة وترابطها فمنذ لحظة الانطلاق والوصف كاميرا تصور كل حدث في زمان

---

(87) المغيري،سعيد، رحلة السلطان خليفة بن حارب، ص119.انظر:المتنبي، ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي العطاء العكبري، د.ط(مصر: القاهرة، 1971)، 3/17.

ومكان الرحلة، وقد اعتنى المغيري بوصف البلاد الأوروبية التي مر عليها وزارها ومن ذلك وصفه لمدينة لندن:

وصف الطبيعة الجغرافية للمدينة وموقعها قائلاً: « تبعد مدينة لندن عن البحر عدة أميال عديدة، يتخللها الشط المعروف بالتيمس في مكان رحب معتدل...»[88]. ويصور اتساع مدينة لندن قائلًا: «ومن اتساع مدينة لندن وكثرة شوارعها، قد يعيش المرء وله صديق في نفس المدينة ولا يلتقيان عمراً لاتساع المدينة وكثرة أحيائها، واحتشاد الملايين من بني آدم فيها»[89].

كما وصف العمران والمباني من بيوت وقصور في لندن، حيث يقول: «شاهقة القصور... وكأن قصورها على منوال واحد في الارتفاع...»أيضا وصف البيوت والقصور بقوله: «وتكسى البيوت والقصور بالفخار وهي ألواح حديدية خفيفة تحمي البيوت من الأمطار، ويستعملون في قصورهم النار في أوقات البرد بآلات كهربائية أو بالفحم...»[90].

ووصف مدينة لندن وعمرانها وحضارتها ومراكز الثقافة فيها بصورة عامة قائلاً: «بهذه المدينة آلاف من القصور وآلاف من البشر، وآلاف من المستشفيات والمعاهد الخيرية والسيارات والأريال والمئات من المحلات لأنغام الموسيقى والتمثيل وأكثر من عشرة آلاف أثر وتمثال في حدائقها وشوارعها، وأكثر من ألف صحيفة بهذه المدينة والمئات من المعابد والنوادي...»[91]، كما اهتم بوصف المواصلات المختلفة فيها ومنها القطار، وذكر أنه على خمسة أنواع «فثلاث تسعى في بطن الأرض الواحدة تحت الواحد وتمر تحت لندن ونهر التيمس، وسكة واحدة تجري عليها فوق الأرض...»[92]. أما الباخرة فقد ذكر بأنَّ عشرَ باخرات تدخل لندن وعشر أخرى تخرج منها في كل يوم.

(88) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب ، ص 69.
(89) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب ، ص 69.
(90) المصدر نفسه ، ص 69.
(91) المصدر نفسه ، ص 70.
(92) المصدر نفسه ، ص 67.

وصف أيضاً أدب أهل لندن وهدوئهم قائلاً: «في كل حركة أو كلمة أو نظرة من أهل لندن، كلها ترمز وتنوع عن أدب سكان لندن، أن لو دخلها أعمى لقال أن هذه المدية ليس بها أحد من بني آدم لعدم الأصوات الحادة، وحتى في الأسواق...» [93] كما ركز على الأدب بصورة عامة في أوروبا قائلاً: «وأهل أوروبا في الغاية والنهاية في أدبهم وعاداتهم، لا تسمع أصواتاً حامية في الطرق ولا في الأمكنة، ولا في أمكنة جلوسهم ولا في محلات بيعهم وشرائهم كما هي العادة في الشرق...» [94]، ويضيف قائلاً: «ما رأيت من يشرف من نافذة أو سمعت نزاعاً بين الجيران... كأن الهدوء والسكينة اختصت به مدينة لندن في جميع حركاتها من بقية المدن...».

وقد وصف عادات أهل أوروبا المختلفة، حيث وصف قاعدة الأكل في أوروبا «وأهل أوروبا يأكلون فوق الموائد، والآكلون فوق الكراسي، ومن العيب أن يأكل المرء بيده من غير (شوكة)وملاعق وسكاكين...ويأكلون في أوقات معلومة، تكاد لا تفوتهم، وبين أكلهم أحاديث فكاهية يتداولها الآكلون، والخمر لا يفارقونها «[95].

أما الصحة والقوة والمظهر العام لهم فقد وصفهم بأنهم في غاية الصحة والرونق، طوال القامة، أقوياء العضلات، كما وصفهم بالنشاط وأنهم غير كسالى، وأنهم أهل عقول كاملة، وذكر المغيري بأن البشاشة والتواضع من لوازم الأدب عندهم في المقابلات الرسمية، ويعظمون زعماءهم بغاية التعظيم.

وذكر في وصفه الحيوانات الموجودة والمزارع التي تزرع، فذكر الماشية الموجودة في لندن: الخيل، البقر، الكباش، الدجاج، الخنازير على أنواع مختلفة، وأن أهل أوروبا يحرثون الأرض على الخيل والبقر والآلات النارية، وأما زراعتهم، فهم يزرعون البر والشعير والبطاطس والتفاح حتى أنك لا تكاد ترى أرضاً مهجورة في جبالها وسهولها، ولا ترى أحداً عاطلا، فكل أهل أوروبا في غاية الحركة والاشتغال.

وقد اهتم بوصف عاداتهم في اللباس، فوصف لباسهم قائلاً: «وأكثر لباس أهل أوروبا الصوف لشدة البرد...» [96].

(93) المصدر نفسه ، ص 70.
(94) المصدر نفسه ، ص 70.
(95) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب ، ص 72.
(96) المصدر نفسه ، ص73.

أما معاملات الأديان الربانية فقد وصفها بأنها مهملة جداً بين عموم أهل أوروبا، رغم كثرة الكنائس الشاهقة، وذكر بأن الوافدين إليها شرذمة قليلة.

ووصف يوم الإجازة عندهم هو يوم الأحد، وهو معروف عندهم باليوم الذهبي لكونه يوم فراغ من الأعمال وفيه الاهتمام بكل ما هو جالب للسرور.

وقد اهتم بوصف ما رآه في لندن اهتماماً بليغاً لدرجة أن شعر بتقصيره في الوصف « فما الذي أقوله في وصف مدينة لندن، أعظم مدائن الأرض وأفخمها وأكبرها وأهمها؟!

ويتضح من وصف المغيري ولغته المستخدمة قدرته على الوصف الذي اتسم بالصدق والدقة والشمول، وأعقب وصفه لبعض ما شاهد بآرائه الشخصية وقد استطاعت هذه الأوصاف التي عبر عنا الرحالة رسم صور جميلة أمتعت القارئ وكشفت عن مكان الجمال الطبيعي لمختلف ما شاهده في الرحلة.

ونخلص إلى أن المغيري قد استخدم نوعين من الوصف في رحلته مع السلطان خليفة بن حارب:

الوصف المباشر لكل ما رأى وسمع في رحلته من مشاهد وأحداث، والوصف التاريخي الذي اعتمد عليه في تدوين الرحلة عبر مراحلها الزمنية المختلفة والحديث عن بعض الوقائع والأحداث التاريخية أثناء زيارته للمواقع المختلفة. أورد لنا المؤلف وصفاً جغرافيا للأماكن التي زارها، وتلك التي رآها.

لم يغفل المؤلف وصف الجانب الإنساني فقد قدم لنا نماذج من حياة الشعوب التي زارها وعاداتها في الأكل والشرب والملبس، كما نقل لنا صورة عن تقاليدها العريقة وأخلاق أهلها وأدبهم.

تناول الحديث عن طبيعة الجو وحدثنا عن برودة الطقس وعن العواصف والأمطار الغزيرة.

وصف لنا الناحية الدينية عند بعض الشعوب، قائلاً: «لاحظت عدم اهتمام السكان بالأمور الدينية».

نقل لنا صورة رائعة عن الآثار التي رآها في كل مدينة زارها.

لم يغفل الحديث في رحلته عن الجوانب التاريخية وسرده لأحداث تاريخية أثناء وصفه لندن.

ثالثاً: البناء الفني والسردي للرحلة.

إن القيمة الأدبية للرحلة تتجلى فيما يعرض فيها من أساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني، وبرغم ما يتسم به أدب الرحلات من تنوع في الأسلوب من السرد القصصي إلى الحوار إلى الوصف؛ فإن أبرز ما يميزه أسلوب الكتابة القصصي المعتمد على السرد المشوق بما يقدمه من متعة ذهنية كبرى، فحين يصف مدينة لندن يشوق القارئ ويحفز خياله لرسم الصور التي تحدث عنها المغيري»وإذا تجولت في لندن سترى القصور تتلاعب على نور عجيب غريب، وإذا صوبت نظرك إلى جو لندن ترى الجو أحمر من الأنوار الكهربائية ...» [97].

وجدير بدارسي أدب الرحلات أن يلتفتوا إلى البناء الفني والقصصي لأدب الرحلات، وقد جاء هذا الفصل من الدراسة ليقف على حقيقة هذا الجانب في الرحلة، فلكل رحلة بداية ونهاية، فهل كانت تلك البداية والنهاية فنية أم تقليدية في رحلة السلطان خليفة بن حارب، وهل حكم عنصرا الزمان والمكان تلك البدايات والنهايات؟

وهل تضمنت الرحلة فضاءات فنية أخرى كالشخوص أو الحوار أو السرد أو الخيال؟

وبالنظر إلى الرحلة المدروسة يجد القارئ لها التزام كاتب الرحلة بمحاور البناء الفني الأساسية:

المقدمة: حيث بدأ ت الرحلة بحمد الله والثناء عليه والصلاة والسلام على رسوله، ومن ذلك قوله في بداية الرحلة: « الحمد لله الذي جعل الأسفار نزهة

(97) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب ، ص70.

للأبصار، وتسلية للأفكار، وسبيلاً لنيل غرائب الأخبار واعتباراً من عجائب الدنيا ما فيه اعتبار.....، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وسلم...»[98].

موضحاً في المقدمة الهدف من الرحلة وتحديد وجهتها، قائلاً: «سعدت بصحبة السلطان الهمام... سلطان زنجبار، إلى لندن لأجل حضور تتويج الملك جورج السادس...»[99].

وقد أوضح المغيري دافعه الذاتي لكتابة الرحلة والاهتمام بتدوينها قائلاً: «اشتاقت نفسي أن أرسم ما شاهدته على وجه القرطاس حتى تبقى أسفار هذا الملك السعيد أياماً عديدة وأزمنة مديدة...»[100].

العرض: وقد بدأ كاتب الرحلة بعرض الأحداث وترتيب سير الرحلة ترتيبا امتاز بالتنظيم والتسلسل الذي أعطى أحداث الرحلة قوة وترابطا وثيقاً، ويرجع هذا الاهتمام بالأحداث والمواقع لكون كاتب الرحلة مؤرخاً في زنجبار، فمهنته تحتم عليه الاهتمام بالأحداث والوقائع والتاريخ وتسلسل الأمكنة وغيرها.

الخاتمة: يختم معظم الرحالة رحلاتهم بحمد الله والثناء عليه، والصلاة على النبي وقد يحدد بعضهم زمان ومكان الإياب والمدة التي استغرقت فيها الرحلة من لحظة الخروج وحتى لحظة الإياب ومن الملاحظ في رحلة السلطان خليفة بن حارب الآتي:

- الرحلة الأولى: حدد الكاتب بدايتها في يوم 219 محرم 1359هـ الموافق إبريل عام 1937م ونهايتها في يوم 17 ربيع الثاني عام 1359هـ الموافق 7 يونيو 1937م، وذكر مظاهر الاحتفال بقدوم السلطان وعودته سالماً إلى زنجبار.

- الرحلة الثانية: اهتم بتأريخ البداية حيث كانت بدايتها في يوم 2 يونيو 1953م؛ لكنه لم يحدد نهاية الرحلة بل اكتفَ بذكر مختصر بسيط جداً عن الرحلة الثانية معللاً ذلك لأنها شبيهة بوصف سير الرحلة الأولى، حيث يقول: «ولا حاجة لذكر ذلك مرة أخرى»[101].

(98) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب ، ص 119.
(99) المصدر نفسه ، ص 13.
(100) المصدر نفسه ، ص 13.
(101) المصدر نفسه ، ص113.

- الرحلة الثالثة والأخيرة فقد حدد زمان الانطلاق في... ذي الحجة 1379هـ الموافق... يونيو 1960 أما خاتمة الرحلة فقد كانت بوصول المركب زنجبار في يوم 3 أكتوبر 1960 م وقد وصف في ختام الرحلة مظاهر استقبال السلطان والفرح بقدومه «وقد امتلأ رصيف زنجبار من أوله إلى آخره من القادمين لاستقبال صاحب العظمة...»[102].

الفضاء الزماني والمكاني:

إن فعل الرحلة لا ينفصل عن الزمان والمكان، فالزمن عنصر هام جدا في نص الرحلة، وعامل هام في من عوامل ضبطه، حيث تمثل الرحلة في زمنها كل مظاهر الحياة المختلفة [103]، فقد رصدت الرحلات جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع ما خلال فترة زمنية محددة، وزمن المغامرة في الرحلة لا يقتضر على ترتيب الأحداث، فقصة السفر في الرحلة تنقل وقائع تاريخية حقيقية وتركز على الزمن الداخلي للنص؛ والفترة التاريخية التي تجري فيها أحداث القصة، وترتيب الأحداث وتزامنها وتتابعها[104].

تقول يمنى العيد: «للشيء الذي نقص عنه زمنه، لكن لفعل القص نفسه زمنه؟أي زمن القص، وزمن الشيء الذي يقص عنه القص...»[105].

ورحلة المغيري عمل ممتع استمد وحدته من شخصية الكاتب (سعيد المغيري)، والتتابع الزمني الذي أولاه اهتماماً منذ لحظة الخروج حتى العودة، باتباع طريقة التدوين للوحدات الزمنية المتمثلة في التواريخ المتسلسلة بالأيام والساعات واللحظات ليؤرخ تنقلاته ومشاهداته في إطار ترتيب زمني منظم، وفي إطار هذا الترتيب الزمني كان الرحالة يصف المكان (لندن) وصفاً دقيقاً مركزاً على الهدف الأساسي للرحلة بصورة ثانوية (حضور تتويج الملك جورج السادس)، وقد

(102) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب ، ص118.
(103) الشوابكة، نوال :الرحلة المغربية والأندلسية في القرن التاسع الهجري، ص299
(104) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب، ص299.
(105) العيد، يمنى: تقنيات السرد الروائي، ط1(بيروت: دار الفارابي، 1990)، ص72.

كان تركيزه على مكان الرحلة لا ينفصل عن زمن الرحلة، والملاحظ أن انشغال المغيري بالتقويم الزمني لم يؤثر سلباً على سير حركة الرحلة أو تباطؤ الأحداث؛ لكن القارئ يلحظ بعض الأحيان الرتابة في النص القصصي مثل(تكرار وصفه لمدينة لندن) وفقده لعنصر الحيوية أحياناً - خاصة - في الرحلة الثانية، وفي الجزء الأخير من الرحلة الثالثة والأخيرة، فقد اعتمد على السرد البحت الخالي من الصور الجمالية أو الخيالية.

لقد كان الزمن خيط يربط بين أحداث الرحلة المتوالية وقد ينزاح هذا الزمن عن سير الرحلة الطبيعي في بعض مشاهدها وذلك عند ذكر المغيري بعض السياقات التاريخية«قصر فرساي في غرب لندن الذي بناه لويس ملك الشمس المتوفى سنة 1715م...»[106] أو وصفه للزمن المتعلق بالأمكنة وخاصة المشهورة والأثرية أو بالترجمة لسيرة ذاتية «البطل الشجاع نابليون الأول الذي حرك أوروبا جميعها، وحصلت فرنسا النصر على يديه...»[107] أو الترجمة الشخصية والتاريخية معاً، ومن ذلك أثناء حديثه عن جبل طارق والقلعة الموجودة فيه قائلاً: «وفي سفح هذا الجبل بنى طارق بن زياد قلعة، وتاريخ بنائها في سنة 771م لما فتح المسلمون أسبانيا، وطارق بن زياد هو قائد جيش المسلمين، حتى سمي هذا الجبل باسمه، وطارق، مولى موسى بن نصير، عامل الوليد بن عبد الملك على إفريقية»[108].

وكما شكل الزمن فضاء في سرد أحداث رحلة المغيري برفقة السلطان خليفة بن حارب، كان المكان؛ إذ لا يمكن الفصل بين الزمان والمكان، فالمكان مرتبط بالزمان، وقد شكل المكان دوراً هاماً منذ خروج الرحالة من زنجبار إلى حين عودته إليها ولا يمكن أن يظهر أحدهما إلا في إطار الآخر، والمغيري حين كان يسرد حدثاً معيناً يربطه بزمنه في أغلب مشاهدات الرحلة وأحداثها فحين بدأ يقص بداية السفر، قائلاً: «السفر إلى ممباسة 3 إبريل عام 1937م، وساعته (الواحدة إلا خمس

(106) المغيري، سعيد: رحلة السلطان خليفة بن حارب، ص 35.
(107) المصدر نفسه ، ص32.
(108) المصدر نفسه ، ص112.

دقائق)»ربط الزمن بالمكان بصورة متناهية في الدقة وهكذا في باقي الرحلة.

وتبرز جمالية المكان من خلال أسلوب المغيري في وصف الأمكنة في ظل حركية الزمن وامتداده فقد احتل الوصف الجغرافي والتاريخي والديني للمدن التي مر عليها المغيري، ونزل بها أثناء الرحلة مكانة كبيرة وأخذت نصيب الأسد في هذه الرحلة، ومن ذلك حديثه عن أوضاع الدين الإسلامي في مدينة باريس «في القسم الخامس منها مسجد واسع مزخرف يسع الألوف من المصلين، وعلى جانب هذا المسجد مساكن للقائمين بمصالح هذا المسجد، المنقوشة جدرانه بالصيني المنقوش على صور بناء مساجد الأندلس»[109].

تعددت فضاءات رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا الزمانية والمكانية لتشكل الإطار الخارجي للرحلة، وبين زمن البداية والنهاية لكل رحلة من الرحلات الثلاث انتقل الرحالة (المغيري) من مكان لآخر حيث امتد فعل القص وسرد المشاهدات، والوقائع والأحداث الاجتماعية والسياسية المتمثلة في مراسم تتويج الملك جورج السادس وما تبعها من أحداث.

السرد والحوار:

إن البناء الفني للرحلة يتضح في مستويات: القول، وتوالي فعل السرد بين الفضاء الزماني والمكاني، حيث تتمحور عناصر الرحلة من خيال وقصص ومواقف وأحداث مثيرة ووقائع حقيقية لتمثل خطاب الرحلة القائم على الوصف الذي يتفاعل مع الكثير من الخطابات الاجتماعية والدينية لمختلف العوالم التي ينتقل فيها الخطاب من الواقعية إلى الغرائبية، وقد جاء نص رحلة السلطان نصاً سردياً لأغلب الأحداث والتفاصيل، فالمغيري كان يروي الأحداث ويصور بعض الشخصيات التي قابلها السلطان وعايشها وطبيعة لقائه بها «تغدى صاحب العظمة مع وزير المستعمرات وقد حضر هذا الغداء الأمير عبد الله بن الحسين...»[110].

(109) المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب، ص36.

(110) المصدر نفسه، ص55.

العجيب والغريب في الرحلة:

يقول مجدي وهبه في كتابه «الأدب المقارن»: «وإذا كنا بصدد رحلة في بلد غريب عن وطن قارئها فكيف يتأتى التشويق؟

لا شك أن أهم ما يجذب القارئ هو وصف الغريب من المناظر الطبيعية أو الحضرية وإظهار الصفات البشرية غير المألوفة عند التعرض لعادات الناس وتصرفاتهم...»[111]

وقد أظهر المغيري العديد من الصور التي أثارت دهشته وقد صور للقارئ الكثير مما رأى من العجيب والغريب ابتداء من وسيلة السفر «الباخرة آل سعيد»التي أثارت دهشة سعيد المغيري حيث يقول: «ولعلك أيها القارئ تحب أن تعرف المكان المعد لصاحب العظمة في هذا المركب، وما شاهدته من العجب العجاب في هذا المركب...»[112] لقد أثارت فخامة المركب المعد لعظمة السلطان دهشته فقد رأى من عجيب المحلات التي هي معدة للأكل والراحة والفرجة والحديث ما بهر بصره ودهش نظره حيث عجز قلمه عن تصوير ما رأى لغرابة ما شاهد، حيث يقول: «فهناك وصف بعض الصفة، وإن لم أكن أعرف الوصف على قدر الصفة، بل هي قطرة من غيث أو غرفة من بحر»[113].

أما العجيب والغريب فيما رأى بعينه، وسمع بأذنه فيسرد على وصفه الذي رأى، وقد يخالطه شيء من الخيال، ومما أدهش كاتب الرحلة، الأنهار التي تتجول في وسط مدينة باريس، وكذلك نظافة الشوارع التي أبهرته ويصور تلك الدهشة بقوله: «وأما شوارع باريس ففي غاية السعة والنظافة، لا ترى عود ثقاب، ... وأظن أن عادتهم في كنس الشوارع ليلاً...»[114]، ومن العجيب الذي شاهده وتيقن منه، أن كل خمس دقائق تعبر 300 سيارة في أحد شوارع باريس ومن شدة إعجابه

(111) وهبه، مجدي: الأدب المقارن، ط1 (مكتبة لبنان- الشركة العالمية المصرية: لونجمان، 1991م)، ص22.
(112) المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا، ص16.
(113) المصدر نفسه ، ص16.
(114) المصدر نفسه ، ص29.

بمدينة باريس الجميلة العجيبة وصفها بأنها»عروس الدنيا، بل وجه الدنيا، بل عين الدنيا، بل إنسان عينها»[115]، ومن المشاهد العجيبة التي لفتت انتباه السلطان خليفة بن حارب والمغيري، الخيول الجميلة التي رآها في سباق «هونفا « حيث يقول: «وشاهدنا منظراً عجيباً، وجياداً من أفضل الجياد وأجملها..»[116] وتتوالى صور الغريب في الرحلة، ويصور شدة إعجابه واندهاشه لجمال وروعة آثار مدينة مارسيليا قائلاً: «رأينا ما يقشعر منه بدن الناظر من حسن هذه المدينة وجمالها، وعلى قمة هذا الجبل منارة عظيمة على صورة رجل قائم وقيل هذه الصورة مبنية من ذهب خالص ويشاهد لمعان هذا التمثال القادم لمارسيليا من مكان بعيد من جهة البحر، لقوة لمعانه»[117].

ومما أثار إعجابه في قصر فرساي الواقع غرب باريس بناء هذا القصر وتفاصيله الراقية، حيث يقول: «فاندهش قلبي من حسن هيئة البناء والتفاصيل، وهيئة المكان الذي يجلس فيه الملك وخواصه، وغير ذلك من الرسوم الغريبة والعجيبة المطلية بالزنج الذهبي، رجالاً ونساء وأطفالاً وعساكر، عليهم اللباس القديم من آلات الحرب والزينة، وكذلك طور المطربين المغنين للملك في أيامه، وصور البنائين الذين بنوا هذا القصر «[118].

كما أثار إعجابه جمال مدينة «كان» التي يقول عنها أنها من أحسن وأجمل المدائن التي زارها لكون ساحلها الممتد أميالاً عديدة، والقصور الموجودة على امتداد الساحل، والمستجمين من الرجال والنساء على طول هذا الساحل بالمئات بل ألوف وكذلك مما أعجبها فيها طقسها البديع فيقول»وهذه المدينة بردها أقل عن بقية الأماكن مثل لندن وباريس»[119].

أما في مدينة لندن فيحدثنا عن ذلك المحل التجاري العجيب الذي دخله

(115) المصدر نفسه ، ص28.
(116) المصدر نفسه ، ص31.
(117) المصدر نفسه، ص26.
(118) المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا ، ص33.
(119) المصدر نفسه ، ص118.

برفقة السلطان خليفة بن حارب قائلاً: «وتجولنا على أشياء غريبة مثمنة، من كل نوع من الجواهر وآلات الذهب والفضة، والثياب على مختلف ألوانها وأشكالها من سائر الألبسة وغير ذلك مما يحتاجه ابن آدم من حال ولادته إلى وفاته... والحقيقة أن هذا الدكان لا أحد يقدر أن يصف ما فيه من الأشياء الغالية العجيبة »[120].

أما في مجال التقدم العلمي وعند زيارته للمطبعة في لندن، فيذكر أن من العجيب الذي رآه آلات الطبع التي ترقص وتخرج أنواعاً من القراطيس المكتوبة في أسرع وقت.

ومن أعجب العجائب تلك السفينة التي رآها في مدينة بورتسمث والتي تبعد عن لندن سبعين ميلاً ويذكر خبر السفينة قائلاً: «وبها السفينة التي قاتل عليها البطل الشجاع نلسون، ...وبناء هذه السفينة من أعجب العجائب...»[121].

ومن العجيب الذي رآه في مقاطعة اسكتلنده روعة التصميم الهندسي حين زار القنطرة التي تعبر الخليج البحري حيث يصور إعجابه قائلاً: «ورأينا من العجب العجاب من الهندسة التي بنيت بها هذه القنطرة التي تعبر الخليج البحري بمسافة غير قليلة...»[122].

أما عن عادات الناس الذين التقى بهم وذكر ما أدهشه من لباسهم، وحسن تعاملهم، كما وضع أوصافا للعجيب الذي رآه في الأماكن التي زارها وبصورة بسيطة بعيدة عن التهويل والخيال العميق.

ومن أعجب العادات التي رآها في جمعية الجنود بلندن أن بعد الطعام يدار على الحاضرين قدح من الفضة به خمر وكل من وصل هذا الكأس عليه أن يقوم واقفاً، والرجل عن يمينه كذلك يقوم واقفاً لقيام الذي بيده الكأس ثم يشرب ثلاث جرعات من ذلك الخمر، والرجل القائم كأنه يحرسه من هجوم العدو[123].

(120) المصدر نفسه ، ص60.
(121) المصدر نفسه ،، ص114.
(122) أنظر الخبر كاملاً في رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا، ص56.
(123) المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا، ص115.

نقلت عدسة المغيري البصرية وأفكاره الحسية صوراً راقية للعجيب فيما رآه وشاهده في تلك البلدان، حتى إن القارئ ليجد متعة حين يصل لقراءة الجزء الذي يتحدث فيه المغيري عن وصف لندن وباريس، فهو ينقل القارئ إلى عالم الخيال والمتعة وهذا ما يدفع القارئ لمواصلة السير والمضي في عالم الرحلة، يقول أنيس منصور في كتابه «أعجب الرحلات في التاريخ «: «أروع الرحلات هي التي نقوم بها في رحلات الآخرين، نرى بعيونهم ونسمع بآذانهم، نرتمي في أحضانهم ونمشي على الدنيا معاً»[124].

صورة الأنا والآخر في الرحلة:

تمثل كل الثقافات والحضارات الإنسانية المختلفة صورة ما لـ»الآخر «، والآخر هو كل ما ترى «الذات» أنه مخالف لها أو مختلف عنها وحين نتحدث عن الآخر أي هو ذاك الذي تقضي الذات بمخالفته لها وتحكم باختلافه عنها في نظم الحياة كلها: في العادات والتقاليد، والأذواق، واللسان والدين، متى ما نظر في تلك الصورة التي ترسمها الذات للآخر، فإنه يتبين أن تلك الصور مزيج غريب غير متجانس من العواطف والأحكام: فقد تكون في الوقت ذاته تحمل مشاعر الاستبشاع والاستهجان والاستغراب من جهة، وتطفح بمشاعر الاستحسان والتقدير والتعظيم من جهة أخرى، وقد يكون الآخر مستأنساً متحضراً تستطاب مجالسته وتطلب مشاهدته؛ ولكن الآخر يظل في الأحوال كلها موضع غرابة وموطن دهشة وتعجب[125].

إن لحظات الاتصال بالآخر، تمثل تصالحاً أو ارتطاماً من اللحظات المهمة في تاريخ الأمم، فغالباً ما تكون هذه اللحظة مرتكزاً لمشاريع كبرى فكرية أو اقتصادية أو اجتماعية تأتي بخيراتها المأمولة لأمم لم تنل حظها من التمدن أو التقدم...»[126].

(124) منصور، أنيس: أعجب الرحلات في التاريخ، ط7 (القاهرة: نهضة مصر للطباعة، يونيو 2007م)، ص 8.
(125) العلوي: أوروبا في مرآة المرحلة، ص23.
(126) المحروقي، محمد: «الجميل المتوحش؛ الآخر الأوروبي في منظور الذات، ملاحظ أولى على أدب الرحلة في

وفي رحلة السلطان خليفة بن حارب يلحظ القارئ أن هناك شخصيتين اثنتين، الأولى هي شخصية السلطان خليفة بن حارب المدعو الرسمي في الرحلة، والشخصية الثانية هي شخصية كاتب السلطان سعيد بن علي المغيري، فالشخصية الثانية تذوب في الأولى، وتمثلها وتنطق عنها «وهذا في المقام الأول الدور الوظيفي لكاتب السلطان، إذ هو ترجمانه الناطق وبيانه المكتوب»[127] والآراء الواردة في الرحلة لا تمثل كلها انطباعات ومشاهدات السلطان وحده بل إن الكاتب يعبر تارة عن شخصية السلطان وتارة عن انطباعه وملاحظاته فشخصية السلطان تحضر في الحفلات والمناسبات والدعوات الرسمية في الرحلة، أما شخصية الكاتب فتضع بصمتها التاريخية الوصفية في كل مكان ينتقل إليه وفي كل معلم سياحي وتبدو ذات المغيري التأريخية واضحة في خط سير الرحلة وضوحا بارزاً.

إن الذات في هذه الرحلة تتمثل في أبعاد ثلاث، أنها ذات عمانية مسلمة عربية وصفة الإسلام هي الصفة الأم والمحرك لكثير من الصفات فيها، وهي ذات متسامحة في إسلامها تتقبل التعامل مع الآخر النصراني أو المسيحي.

والصفة الثانية التي تميز هذه الذات صفة العروبة، فمن الصفات التي ذكرها المغيري في جهينة الأخبار أن السلطان خليفة كان مغرماً بحب الفروسية وحب الخيل ومن شدة حبه للخيل طلب ثلاثين جواداً من الجياد الأصيلة التي بالحبشة[128] وفي باريس دعي السلطان لحضور سباق الخيل في هونفا...»[129] وإن عروبة السلطان تمتد لكونه حفيداً لسلسلة من عرب عمان آل سعيد في زنجبار وأن جده سعيد بن سلطان، فالمعروف أن السلطان ولد في عمان بمسقط عام 1297هـ الموافق 1879م، إلا أن أسرته رحلت به إلى زنجبار.

شرق أفريقيا»، جريدة الوطن، ملحق أشرعة، 2008م.العدد (9179)، ص1.

(127) المحروقي: «الجميل المتوحش»، ص4.

(128) المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب، ص 30.

(129) العلوي: أوروبا في مرآة المرحلة، ص23.

صورة الأنا والآخر في المرآة الاجتماعية:

يتضح من وصف المغيري للآخر أنه منضبط ودقيق وملتزم في آدابه وأخلاقه وحسن تعامله مع الغريب وقد برزت الأخلاق والآداب والصفات التي يتحلى بها الآخر، فيظهر من حديث الذات في هذه الرحلة أن السلطان وكاتب الرحلة قوبلوا بالاحترام والإجلال من قبل ضباط المركب الذي أقلهم في رحلتهم إلى أوروبا، وكذلك من قبل الرجال والنساء الأوروبيين حيث يقول: «وما أذهب عنا وحشة السفر ولوعة فراق الوطن، الاحترام والإجلال الذي قابلنا به ضباط المركب، وجميع الركاب الأوروبيين من رجال ونساء...»[130] ويصور الآخر في قمة الأدب ومنتهى الذوق في التعامل ومن الأدب والتواضع إذا أراد أحد أن يشتري أو يتكلم مع آخر أن يقول (يا سيدي) تفضل كذا أو يا سيدي بكم كذا.

تصور الذات في هذه الرحلة الآخر الذي يقوم على خدمتها بأنه متمدن نظيف في لباسه وأنيق في شكله «الغلمان واقفون بلباسهم النظيف والظريف»[131]، والحديث مع الآخر ومن قبله كان مستأنسا ومستطاباً، ومن ذلك قول المغيري: «فأكثر العبرية يأتون إلينا يتعرفون بعظمة السلطان وأنا، ويشاركونا الحديث والجلوس والانبساط...»[132]

أما الهدوء والسكينة فلها منظار مميز في نظر المغيري حيث بالغ في تصوير الهدوء والسكينة في مدينة لندن وذلك قد يعود لأمرين إعجابه الشديد بالمدينة ولأن كل فرد في حاله فذلك يقلل من الاحتكاك والضوضاء حيث تعيش الحياة الاجتماعية شيئا من الجمود لا يقدره إلا سكان تلك البلاد أو الغريب الذي عاش دارهم ردحاً من الزمن وألف طباعهم ولم يكن هذا الهدوء مقصوراً على البشر في لندن بل امتد ليشمل الحيوانات «حتى حيوانات لندن تراها طوع الأدب وطوع الأمر»[133] وقد بلور علاقات الآخر الاجتماعية بأنها إيجابية في تعاملها وأخلاقها

(130) المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا، ص18.
(131) المصدر نفسه ، ص53.
(132) المصدر نفسه ، ص49.
(133) المصدر نفسه ، ص68.

وهدوئها ونظامها، حيث يصور ذلك قائلاً: «أما الآدميين فلا تسمع بوقوع نزاع أو شتائم بين الناس المشاة كل الناس هدوء ونظام في سيرهم»[134].

وقد نظر للهدوء الذي يعم مدينة لندن بنظرة فاحصة تنبع عن تفكره وشديد ملاحظاته فقد عبر عن خلاصة انطباعه بوصف هدوء المدينة التي تعبر عن هدوء أهلها ومثل لذلك قائلاً: «لو دخلها أعمى لقال إن هذه المدينة ليس بها من بني آدم أحد لعدم الأصوات الحادة حتى في السوق...»[135] وتتضح ملامح الصورة العامة لأدب الآخر وهدوئه في رأي الذات واستحسانها لذاك الأدب وتعظيمها له حيث يعبر المغيري عن ذاته قائلاً «أهل أوروبا في الغاية والنهاية في أدبهم وعاداتهم لا تسمع أصواتاً حامية في الطريق ولا في الأمكنة، ولا في أمكنة جلوسهم، ولا في محلات بيعهم وشرائهم كما هي العادة في الشرق»[136] ويلحظ القارئ من عبارته تلميحاً لاستهجان واستنكار الذات الضوضاء والضجيج في الشرق وذلك من استحسانه وتركيزه لعادات الآخر الإيجابية في أخلاقه وتعامله وهدوئه ونظافته.

كذلك يتضح من حديث الذات عن أخلاق الآخر والإشادة به وبحسن أخلاقه تأثرها الإيجابي نحو تلك الصفات واستحسانها وقبولها «ما رأيت من يشرف من نافذة أو سمعت نزاعاً بين الجيران أو بين العائلة نفسها حتى أنك لا تسمع صوت طفل وكأن الهدوء اختصت به مدينة لندن في جميع حركاتها من بقية المدن».

ولم تنظر الذات فقط لأخلاق الآخر من حيث الهدوء والنظام فقط بل استحسنت أهم صفتين عند القائمين على خدمة السلطان وحاشيته ومن أهمها التواضع والبشاشة وهذا من لوازم الأدب عندهم.

ولم تكن الذات بمنأى عن إنسانية الآخر ومروءته التي تتمثل في الرفق بالحيوان وحسن العشرة والرفقة معه، وتصور هذه المروءة والإنسانية عند عموم الأوروبيين «أما مروءة الأوروبيين وإنسانيتهم فإنها تتضح في موقفهم من الرفق بالحيوان ومراعاة ضعفه، فقد مررنا على مجموعة كبيرة من الخيول المسنة الكبيرة وسأل

(134) المصدر نفسه ، ص70.
(135) المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا ، ص68.
(136) المصدر نفسه ، ص71.

(الكاتب)عنها فقيل له إنها مسنة ولا تقدر على الاشتغال؛ ولذا ينفق عليها جزاء صحبتها المتقدمة، وهذا من حسن جميل الصحبة من أهلها لها «وعدَّ المغيري ذلك من المروءة ومن الأعمال الخيرية[137].

الذات المغتربة في مرآة الآخر:

لباس السلطان العربي وحاشيته الغريب العجيب لفت انتباه أهل باريس فصار الناس يمعنون النظر إليهم حتى أصحاب القصور خرجوا لمشاهدتهم «وقد صارت العيون ترمقنا وعلينا اللباس العربي الذي نحن نلبسه، عمامة صحارية وبشت وقميص، فكان الذي يرانا لابد أن يقف حتى يمتع نظره بمنظرنا العجيب الغريب، حتى إن بعضا كان ينظر إلينا من الغرف والبعض يخرجون من داخل القصور ينظرون إلينا، فماذا يقول القارئ إذا نزل صاحب العظمة بلباس الإفرنج في هذه المدينة باريس على ما فيها من الناس ذوي الأشكال المختلفة، أترى أحداً ينظر إلينا؟!»[138].

وتصور الذات نظرتها للآخر بعين الاستغراب والدهشة والتقدير في الوقت نفسه «كلما مررنا على جمع من بني آدم مدوا إلينا أيديهم للسلام ومنهم من يقول لي: السلام، السلام، وكم مار لا أحد يسلم عليه أو يحتفل به»[139] تمنيت أن أحداً من أبناء زنجبار المتجنسين بغير العرب ينظرون في هذا الوقت، فمنذ وصولنا مارسيليا إلى وصولنا لندن، والمصورون يأتون إلينا من أهل الجرائد وغيرهم، ليأخذوا صورنا العجيبة الجميلة الغريبة»[140]

نظر كاتب الرحلة لذاته أنه غريب عاجز عن تكلم اللغة الإنجليزية وذلك حينما ضلَّ طريقه إلى المنزل الذي كان يسكن فيه»فلما تيقنت أني قد ضللت الطريق أخذني الرعب والخوف، وقلت في نفسي، وليس لي علم باللغة الإنجليزية،

(137) المصدر نفسه ، ص61.

(138) المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا ، ص30.

(139) المصدر نفسه ، ص30.

(140) المصدر نفسه ، ص49.

والآن أنا ضال عن المدينة الغريبة...»[141] ولم تصور الذات عجزها على عدم تكلم لغة الآخر في بلاده وأن صفة العجز محصورة في دائرة الذات بل إن هذه الصفة يمتلكها الآخر، وهذا العجز شمل الآخر بصورة عكسية فإمام المسجد الذي يؤم بمسلمي لندن لا يعرف العربية، وهنا تستوي ذات المغيري، والآخر في العجز اللغوي المشترك»وزرنا إمام المسجد الإسلامي ولا يعرف العربية»[142].

انبهر بما لدى الآخر من الحضارة والتقدم المادي والعلمي والعمران وكافة المجالات فلم يترك معلماً أو قصراً أو حديقة وبستاناً وغيرها إلا أثارت دهشته وشدة إعجابه وسروره.

لكن على الرغم من استحسان الذات لأخلاق وعادات الآخر الاجتماعية إلا أنها استهجنت عدم اكتراثه بالدين وخاصة الأديان الربانية وتصور الذات ذلك الإهمال وعدم الاهتمام عند الآخر"أما معاملات الأديان الربانية فمهملة جدا بين عموم أهل أوروبا على الرغم من كثرة الكنائس الشاهقة فإنك ترى الوافدين إليها شرذمة قليلة،... أما الأعاظم والأكابر والأغنياء وسائر الناس فهم غير مهتمين بأعمال الدين.."[143].

وهنا تقف الذات موقف اعتزاز بمعتقدها الديني، فمهما بلغت الذات في إعجابها واستطابتها لمنجزات الآخر وتمدنه وثقافته تظل تنظر لبعض الفروق بعين الحذر وتقف عند حدود تمنع الأمنيات من تجاوزها.

وأخيراً : إن مجمل القول في هذه الرحلة أنها بداية اتصال وتواصل مع الآخر في القرن العشرين، وهي بوابة الوصف في الرحلات العمانية التي كانت وجهتها إلى أوروبا في القرن العشرين، حيث تحتل الرحلة السبق في أولويتها كرحلة عمانية في القرن العشرين وجهتها للغرب، وتعكس مدى تطور كتابة الرحالة العماني، وفي الوقت نفسه مثلت هذه الرحلة سجلاً أدبياً للتواصل مع الآخر وحدثاً تأريخياً في تطور العلاقات، ونمواً فكرياً معرفياً لجغرافية أمكنة الآخر، وقد تجلى

(141) المصدر نفسه ، ص70.
(142) المصدر نفسه ، ص117.
(143) المغيري: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا، ص73.

ذلك في حديث الذات عن كل مدينة صادفتها وزارتها.

ورحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا وفي فترات متقاربة تدل على قوة العلاقات الدبلوماسية بالآخر، وتعكس مدى رغبة الذات العمانية في التواصل مع الآخر الغربي والتأثر بمنجزاته وحضارته ومحاولة بلورة هذا التأثر بصورة واقعية وملموسة .

قائمة بأسماء المصادر

أولاً : المطبوعات

1 - أيلتس، هرمان فريدريك:سلطانة في نيويورك أولى رحلات الأسطول العماني لأمريكا عام 1840م، ط5(سلطنة عمان :وزارة التراث والثقافة، 2005م).

2 - البرواني، محمد بن علي : رحلة أبي الحارث، ط1(زنجبار: مطبعة النجاح :، 1914م).

3 - البطاشي، سيف بن حمود بن حامد:إتحاف الأعيان في بعض عمان، ج2، ط 2(مكتبة المستشار الخاص لجلالة السلطان للشؤون الدينية والتاريخية، 2004م).

4 - البوسعيدي، حمد بن سيف بن محمد:قلائد الجمان في بعض أسماء بعض شعراء عمان، ط1(سلطنة عمان: وزارة التراث، 1993م).

5 - البوسعيدي، حمود بن أحمد بن سيف: الدر المنظوم في محاسن الأمصار والرسوم، تحقيق محمد المحروقي، ط1(سلطنة عمان: وزارة التراث، 2006م).

6 - الجامعي، حميد بن عبدالله :رياض في الإسلام، ط1، 2000م.

7 - ديوان أبي سرور، المجلد الأول، ط1(سمائل:مكتبة الفردوس، 1998م).

8 - الحارثي، سعيد بن حمد بن سليمان: عبر وذكريات من أدب الرحلات، ط1، 2001م.

9 - الحارثي، عبدالله بن ناصر بن سليمان: دور آل بوسعيد في تنشيط الحركة الثقافية في عمان وشرق أفريقيا، ط 1(سلطنة عمان: وزارة التراث، 2006م).

10 - الحارثي، محمد بن عيسى بن صالح: ديوان أبي الفضل، ط1(سلطنة عمان: مكتبة الضامري، 1995م).

11 - الحارثي، محمد:عين وجناح، ط2 (ألمانيا: منشورات الجمل، 2008م).

12 - الحضرمي. خلفان بن عامر: ديوان عبدالله بن ماجد الحضرمي (ترجمة لحياته – دراسة لديوانه)، ط1(سلطنة عمان : مكتبة دار الكتاب الإسلامي، 2005م).

13 - الخروصي الستالي، أبو بكر أحمد بن سعيد: ديوان الستالي، ط1(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1983م).

14 - الخروصي اللواح، سالم بن غسان:ديوان اللواح، تحقيق محمد علي الصليبي، ج1، ط1(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1989م).

15 - الخروصي، سعيد بن خلف بن محمد: الدر المنتخب في الفقه والأدب، ج2، ط1(سلطنة عمان: مسقط، 2007م).

16 - الخروصي،معتصم: ترجمة العلامة سعيد بن حمد، ورزارة الأوقاف والشؤون الدينية، (سلطنة عمان:وزارة الأوقاف).

17 - الخصيبي، محمد بن راشد بن عزيز: شقائق النعمان على سموط الجمان في أسماء شعراء عمان، ط2(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1989م).

ـــــــــ: الزمرد الفايق في الأدب الرائق، ج2، ط2(سلطنة عمان:وزارة التراث والثقافة، 2006 م).

19 - الخصيبي، مرشد بن محمد بن راشد: كوكب الشعر، ط1، 2006م.

20 - الخليلي، عبد الله بن علي: ديوان وحي العبقرية، ط2(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1990م).

21 - الرحبي، محمد سيف: شذى الأمكنة رحلات صحفية (1)، ط1(طبع بمطابع مؤسسة عمان، 2007م).

22 - الرواحي، ناصر بن سالم بن عديم: اللوامع البرقية، (سلطنة عمان:وزارة التراث والثقافة، 1983م).

23 - الريامي،ناصر بن عبدالله: زنجبار شخصيات وأحداث-1828 1972،ط1،

(لندن:دار الحكمة،2009م).

24 - الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر: مختار الصحاح، ط1(بيروت: دار الفكر العربي، 1997).

25 - الزركلي. خير الدين: الأعلام، ط10،(بيروت: دار العلم للملايين، 1992م).

26 - السعدي، فهد بن علي بن هاشل: معجم شعراء الإباضية (قسم المشرق) من القرن الأول الهجري إلى بداية القرن الخامس عشر الهجري ، ط1(سلطنة عمان:مكتبة الجيل الواعد، 2007م).

ــــــــ: معجم الفقهاء والمتكلمين الإباضية (قسم المشرق) من القرن الأول الهجري إلى بداية القرن الخامس عشر الهجري، ط1(سلطنة عمان:مكتبة الجيل الواعد، 2007 م).

27 - سعيد، زاهر: تنزيه الأبصار والأفكار في رحلة سلطان زنجبار، تحقيق أحمد الشتيوي، 2007م.

28 - العيسري، خلفان بن عامر.ديوان عبدالله بن ماجد الحضرمي ترجمة لحياته وتحقيق لشعر، ط 1(مسقط: دار الكتاب الإسلامي، 2005م).

29 - الفارسي،صالح (قاضي قضاة كينيا):البوسعيديون حكام زنجبار، ط2(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة).

30 - الكيذاوي، موسى بن حسين بن شوال: ديوان الكيذاوي، ط1(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1985).

31 - المجيزي، سعيد بن مسلم: ديوان أبي الصوفي العماني، ط2(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 2004م).

32 - المصري الأفريقي، محمد بن مكرم بن منظور: لسان العرب، ط1(بيروت=: دار صادر).

33 - المعولي، محمد بن عبدالله بن سالم. ديوان المعولي، (سلطنة عمان: وزارة

التراث والثقافة، 1984م).

ـــــــ، ناصر بن سالم بن ناصر: ديوان الدر المنظوم في شفاء الهموم، (سلطنة عمان :جامعة نزوى).

34 - المغيري، سعيد بن جمعة بن علي: جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار، تحقيق محمد علي الصليبي، ط4،(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 2001م).

ـــــــ: رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا -1937 1960، تحقيق محمد علي الصليبي، ط1،(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة، 1985).

35 - النبهاني، سليمان بن سليمان بن مظفر: ديوان النبهاني، ط1،(سلطنة عمان: وزارة التراث والثقافة).

ثانياً: المخطوطات :

1 - الحارثي، محمد بن عيسى بن صالح: الرحلة العدلية إلى الديار الغربية،، مخطوط بوزارة التراث والثقافة (975)، الرقم العام 1934/98ز.

2 - الخصيبي، محمد بن راشد: البلبل الصداح، مخطوط بمكتبة السيد محمد ابن أحمد البوسعيدي: ولاية السيب، رقم 318 .

3 - الراشدي، قسور بن حمود: مجموعة سير وأشعار للقاضي قسور بن حمود (بزنجبار)، مخطوط بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي:ولاية السيب، رقم 1031

4 - السالمي، محمد بن شيخان: مجموعة أشعار منها قصيدة الساحيليات، مخطوط بمكتبة السيد محمد بن أحمد البوسعيدي: ولاية السيب،، رقم 1322.

5 - اليعربي، سيف بن ناصر: أول قطرة من طل بسيرة أبي محمد البطل، مخطوط بوزارة التراث والثقافة، رقم 2468.

قائمة بأسماء المراجع

أولاً :المطبوعات

1 - الأصفهاني، أبو القاسم محمد بن المفضل: محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق عبد الحميد مراد، المجلد الرابع، ط1،(بيروت: دار صادر، 2004م).

2 - ابن أبي طالب، علي:ديوان الإمام علي، تحقيق صلاح الدين الهواري، ط1(بيروت: دار ومكتبة الهلال، 2003م).

3 - ابن خلكان، شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ط1(بيروت: دار صادر، 1971م).

4 - البيروني، محمد بن أحمد الخوارزمي: « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» ، (حيدر أباد:الهند ،سلسلة دار المعارف العثمانية، 1377هـ / 1958م).

5 - بركات، شكري:ديوان النبهاني دراسة موضوعية فنية، ط1،(سلطنة عمان: مطابع النهضة/ روي، 1994م).

6 - حسين، حسني محمود: أدب الرحلة عند العرب، ط2، (بيروت : دار الأندلس، 1983).

7 - الحليفي، شعيب:الرحلة في الأدب العربي الحديث، ط2،(مصر : القاهرة، 2006م).

8 - درويش، أحمد: مدخل إلى الأدب في عمان، د. ط، (دار الأسرة للطباعة والنشر).

9 - دومة، علي عبد الخالق علي: الستالي حياته وشعره (584هـ - 676م)

د.ط،(القاهرة: دار المعارف، 1984م).

10 - راغب. نبيل: أدبيات فنون الأدب العالمي، ط1(الشركة المصرية للنشر: لونجمان، 1991م).

11 - الرّيّس، رياض نجيب: الجانب الآخر للتاريخ أسفار صحافي في طرق العالم، ط1،(رياض الريس للكتب والنشر، 2007م).

12 - الزهراني.ناصر بن مسفر: أنيس المسافر وسلوة الخاطر، ط3(الرياض: مؤسسة الجريسي، 1998م).

13 - الزيني. محمد السعيد محمد: رحلة ابن بطوطة المسماة « تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار»، د.ط(مصر: المكتبة التوفيقية، القاهرة).

14 - سبايارد،نازك:الرحالون العرب وحضارة الغرب في النهضة العربية الحديثة،ط2،(لندن:نوفل، 1992).

15 - السنوسي.محمد: الرحلة الحجازية، د.ط، ج1(الشركة التونسية للتوزيع، 1976م).

16 - الشافعي، محمد بن إدريس: ديوان الشافعي، تحقيق صلاح الدين الهواري،ط3،(بيروت:دار ومكتبة الهلال، 2003م).

17 - الشوابكة، نوال عبدالرحمن: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1،(عمّان : وزارة الثقافة، 2008م).

18 - ضيف، شوقي: الرحلات، ط1،(القاهرة : دار المعارف، 1956م).

19 - الطهطاوي، رفاعة رافع: الدر النفيس في إيوان باريس أو «تلخيص الإبريز في تخليص باريز»، ط1،(أبوظبي : دار السويدي، 2000م).

20 - العاني. نزار: النبهاني بين الإبداع والاتباع، ط2،(مسقط : المنتدى الأدبي، 2006م).

21 - العبدري. محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن سعود: رحلة العبدري،

ط1،(دمشق :دار سعد الدين للطباعة والنشر، 1999م).

22 - العظم المؤيد. صادق باشا: رحلة الحبشة من الأستانة إلى أديس أبابا 1896، ط1،(أبوظبي : دار السويدي، 2001 م).

23 - العيد، يمنى: تقنيات السرد الروائي، ط1،(بيروت: دار الفارابي، 1990).

24 - الفارس. أسعد: رحالة الغرب في ديار العرب، د. ط،(دولة الكويت، 1997م).

25 - الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد (ت505هـ): تهذيب إحياء علوم الدين، تحقيق عبد السلام هارون، (بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية، 1988).

26 - فهيم، حسين محمد: أدب الرحلات (دراسة تحليلية من منظور أنثوجرافي)، (دولة الكويت: عالم المعرفة، 1989م).

27 - المتنبي، أحمد بن الحسين: ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي العطاء العكبري، د.ط(مصر: القاهرة، 1971).

28 - المحروقي.محمد بن ناصر بن راشد: الشعر العماني الحديث أبو مسلم البهلاني رائداً 1920-1860م، ط1،(الدار البيضاء : المركز الثقافي العربي، 2000 م).

29 - المسعودي،علي بن الحسين:مروج الذهب ومعادن الجوهر،ط1،(بيروت: دار الفكر العربي، 2000م).

30 - العظم، صادق باشا المؤيد: رحلة الحبشة من الأستانة إلى أديس أبابا 1896م، ط1،(أبو ظبي: دار السويدي، 2006م).

31 - العلوي،سعيد بنسعيد: أوروبا في مرآة الرحلة المغربية المعاصرة، ط1،(أبوظبي:دار السويدي، 2006م)

32 - القدوري، عبدالمجيد:سفراء عرب في أوروبا، ط1، (أبوظبي:دار السويدي، 2006م)

33 - المناوي. محمد عبدالرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، ط1،

(بيروت:دار الفكر المعاصر، 1990م).

34 - منصور، أنيس: أعجب الرحلات في التاريخ، ط7،(القاهرة: نهضة مصر للطباعة، 2007م).

35 - مودن، عبدالرحيم:الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر مستويات السرد،ط1،(أبوظبي:دار السويدي، 2006م).

36 - النساج: سيد حامد: مشوار كتب الرحلة (قديماً وحديثاً)، د.ط(القاهرة: دار غريب للطباعة).

37 - نصار، حسين: أدب الرحلة عند العرب، ط1، (الشركة المصرية العالمية للنشر: لونجمان، 1991م).

38 - وهبة، مجدي: الأدب المقارن، ط1،(مكتبة لبنان -الشركة العالمية المصرية:لونجمان، 1991م).

39 - ويلفرد ثيسجر الملقب بمبارك بن لندن: الرمال العربية، ط2، (أبوظبي:موتيف إيت للنشر، 1992)

40 - اليحيائي. شريفة خلفان: دراسات في أدب عمان والخليج، ط1،(عَمّان: دار المسيرة، 2004م).

ثانياً: رسائل علمية غير منشورة:

1 - البراشدي. موسى بن سالم بن حمد: الحياة العلمية في عمان في عهد اليعاربة خلال الفترة من 1034هـ/ 1624م إلى 1157هـ/1744م، رسالة ماجستير في الآداب غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس: سلطنة عمان، يناير 2006م.

2 - البطراني. سعيد بن علي بن سعيد: الغربة في الشعر العماني الحديث في

المهجر الأفريقي، رسالة ماجستير في الآداب غير منشورة، تخصص: لغة عربية، قسم اللغة العربية وآدابها: كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس: سلطنة عمان، إبريل 2008م.

3 - آل حمادي، عبدالله بن أحمد بن حامد:أدب الرحلة في المملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 1417هـ - 1418هـ/1997م.

ـــــــنقد الذات ونقد الآخر في أدب الرحلة العربي الحديث، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، 1422هـ/2001م.

4 - الحوسني. زاهر بن عبدالله بن هلال: سيرة العلامة الشهيد التقي محمد بن سالم الرقيشي (حياته وآثاره العلمية)، بحث تخرج بمعهد العلوم الشرعية، 1424هـ/2003م.

5 - السليمي. محمود بن مبارك بن حبيب: شعر حميد بن عبدالله الجامعي «أبو سرور »، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الأردنية: كلية الدراسات العليا، آيار/1995م.

6 - الغيلاني.سبيت بن سعيد بن خميس: الشعر العماني في المهجر الأفريقي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة اليرموك، كلية الآداب قسم اللغة العربية وآدابها، 1996م.

7 - الفارسي. سعيدة بنت خاطر: الشعر العماني في عصر النباهنة دراسة نقدية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 1995م.

8 - الكندي: الخطاب بن أحمد بن سعود: الأحوال السياسية والثقافية في عمان خلال الفترة 1401هـ - 513هـ/ 1010م – 1119م (دراسة تاريخية فكرية): رسالة ماجستير غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة السلطان قابوس، أكتوبر 2007م.

ثالثاً: المقالات والأبحاث في الصحف والمجلات والدوريات المحكمة وغير المحكمة:

1 - زيتوني، لطيف: «السيميولوجيا في أدب الرحلات»، مجلة عالم الفكر: مجلد (24)، العدد(3، 1996م).

2 - الحجري، هلال: "مدخل إلى أدب الرحلات في عمان، دراسة وصفية للرحالة البريطانيين من 1626م – 1970م" مجلة نزوى (العدد 35، 2003م).

3 - حنطور، أحمد محمد: "القيمة الأدبية للرحلات إلى الديار المقدسة"، مجلة الحج والعمرة، العدد(3)، 2008م.

4 - الفلاحي، أحمد : "وصف الرحالة الأجانب لعمان في القرون الخمسة الأخيرة"، مجلة نزوى، العدد (46)، 2006م.

5 - المحروقي، محمد: "الجميل المتوحش"، جريدة الوطن، ملحق أشرعة، العدد (9179، 2008م).

ـــــــــ: " رحلة في مخطوط عماني"، مجلة نزوى، العدد(47، 2006م).

ـــــــــ: "من الفرضاني..يوميات رحلة إلى زنجبار وممباسا والبر الأفريقي"، مجلة نزوى، العدد(49)، 2007م.

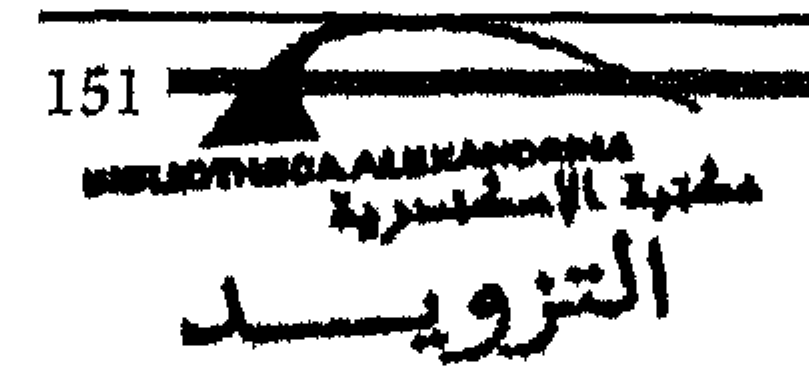
6 - الهنائي،عبدالملك بن عبدالله: "العلاقات الدولية لعمان، شواهد من الماضي"، مجلة نزوى، العدد(36)، 2003م.

رابعاً: المقابلات الشخصية

1 - مقابلة شخصية مع الأستاذة /بدرية العدوية، زوجة صالح بن هاشل المسكري بالنيابة عن زوجها صالح أحد أبناء مؤسس صحيفة الفلق في زنجبار، 3سبتمبر 2009م.

2 - مقابلة شخصية مع مستشار وزارة التراث والثقافة: الشيخ محمود بن زاهر الهنائي، سلطنة عمان:مسقط، 19فبراير 2008م.

3 - مقابلة مع الكاتب: محمد بن سيف الرحبي، 2سبتمبر 2009م



الخاتمة

انتهت الدراسة التي بعنوان: (أدب الرحلات العمانية، رحلة السلطان خليفة بن حارب أنموذجاً)، وقد خلصت الباحثة في نهاية الرسالة إلى بعض النتائج، والتوصيات المقترحة لمواصلة السير نحو الرقي بأدب الرحلات العمانية، ومن النتائج التي توصلت إليها الباحثة، الآتي:

أدب الرحلات في عمان كان أدباً يقوم على المشافهة، حاله كحال بقية الألوان النثرية والشعرية الأخرى التي نشأت من قديم الزمان، فلم يكن له حظ من التدوين فانتقل عن طريق الرواية الشفهية؛ مما أدى لفقدان الكثير من التراث الأدبي للرحلات العمانية القديمة.

أول رحلة عمانية مكتوبة وجدت في القرن الثالث الهجري / منتصف القرن التاسع الميلادي، رحلة محمد بن مداد بن فضالة الناعبي، وهي رحلة إلى بلاد الحجاز يذكر هدفه منها"حج الفريضة"، وهذه أول رحلة صادفت البحث في تدوينها المبكر، وبالقياس إلى ما قاله المحقق "محمد علي الصليبي" عند تحقيقه لرحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا: "أن أدب الرحلات بلغ نضجه الفني وتنوعت أساليبه وفنونه في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ..."؛ فإن ذلك يقود الباحث في هذا المجال إلى أن الرحلات العمانية واكبت هذا النضج والدليل وجود رحلة مكتوبة وجهتها كانت إلى بلاد الحجاز.

الرحلة في العصر النبهاني لم تكن واضحة بشروطها الأدبية، فقد احتضنت قصائد المدح الحديث عن الرحلة، والسير للممدوح والبعض كانت قصيدته تعبر عن مدح أحد الملوك، ووصف السير إلى الحج، وزيارة الأماكن المقدسة في

مكة والمدينة، والبعض الآخر أفرد الحديث في مدائحه للرحلة الحجازية وأكثر الحديث عنها كما هو الحال عند الشاعر سالم بن راشد الخروصي.

تأسس أدب الرحلات العمانية الحديثة في المهجر الأفريقي (زنجبار)، حيث المؤثرات المختلفة حضاريا وثقافياً بالإضافة إلى تعدد دوافع الرحلة المختلفة كل ذلك أعطى الصدارة لهذا الأدب أن يبرز ويظهر إلى النور وبوهج متألق .

توسع الدولة العمانية في شرق وأواسط أفريقيا، أدى لازدهار الرحلات العمانية الخارجية فتعددت رحلات العماني من وطنه الأم عمان إلى وطن الأحبة في الشرق الأفريقي والعكس صحيح، وخروج الرحلات من نطاق الإقليمية إلى نطاق العالمية.

أهل المنطقة الشرقية في عمان أغلب رحالة القرنين التاسع عشر والعشرين إلى زنجبار وأوروبا، وهذا ملحوظ في متن البحث، فأغلب الرحالة من المنطقة الشرقية، ويعود السبب في ذلك إلى يسر حالهم وامتلاكهم ثمن الباخرة والسفر إلى زنجبار وبعض الدول العربية والأوروبية، ويؤكد هذا القول مقابلة الباحثة لزوجة صالح بن هاشل المسكري(1) حيث أكدت على أن أهل المنطقة الشرقية كانوا أكثر المرتحلين وذلك ليسر حالهم وامتلاكهم ثمن السفينة أو الباخرة التي ستنقلهم إلى وجهتهم.

نظم الرحالة العمانيون أغلب رحلاتهم شعراً، بل كانت معظمها أراجيز(2) تظهر براعتهم في هذا المجال، فكانت الرحلة الواحدة تتجاوز أكثر من مائة بيت، وتأتي في مقدمة هذه الرحلات «الرحلة الأدبية للأقطار الأفريقية»وهي أطول منظومة في أدب الرحلات العمانية، حيث تتألف من سبعمائة وتسعة عشر بيتاً.

الرحلات النظمية احتلت الجزء الأكبر في أدب الرحلات العمانية، وهذا يميز

(1) أم هيثم العدوية، زوجة صالح بن هاشل المسكري، والشيخ هاشل المسكري المؤسس لصحيفة الفلق في زنجبار، 2سبتمبر 2008م.
(2) الأراجيز، مفردها أرجوزة: وهي قصائد مطولة تفوق مائة بيت .

الرحلات العمانية بصورة خاصة، وهذا التميز يضيف لأدب الرحلات في الأدب العربي التوازن بين دفتيه (الشعر والنثر)، فمن المعروف أن أغلب الرحلات العربية كتبت نثراً، وعليه فإن وجود هذا الكم من الرحلات الشعرية يعمل على تحقيق توازن بين دفتين تكاد إحداهما تطغى على الأخرى.

وجود رحلات نسائية مكتوبة، رحلة عائشة بنت محمد بن عيسى الحارثي إلى الحج، وهذه ميزة أخرى تضاف إلى رصيد أدب الرحلات العمانية، فلم يصادف الباحثة في فترة البحث في الرحلات المكتوبة لأدب الرحلة عند العرب وجود رحلات نسائية.

الرحلات الدينية تحتل مرتبة الصدارة في مجمل رحلات العمانيين، وبعدها تأتي الرحلات السياحية، ومن ثم الرحلات القضائية، وبعدها الرحلات العلاجية، ومن ثم الرحلات العلمية، وأخيراً الرحلات الدبلوماسية والصحفية.

تمثل «الأرجوزة الإسلامية للقارة الأمريكية» أروع وأدق الرحلات النظمية تصويراً للأزمنة والأمكنة، وهي من نظم سعيد بن حمد الحارثي - رحمه الله – في فترة وجوده بأمريكا.

تمثل الرحلات الدبلوماسية (رحلات الحكام والسلاطين)، وكذلك البعثات العلمية، والرحلات السياحية الخاصة، والرحلات الصحفية العمانية إلى دول أوروبا خروج الذات من دائرة المعرفة للأنا إلى دائرة التعرف بالآخر.

أغلب الرحلات العمانية التي كانت وجهتها إلى أوروبا والعالم الآخر، تجلت نظرتها بعين الإيجابية والرضا لما عند الآخر من تفوق وتقدم في مجالات العلم والعمران والآداب، لكن ما تفتخر به ذات العماني الدين واللغة التي تعتز بها، فكم أعوزتها اللغة الرسمية لبعض البلدان وأوقعتها في حيص بيص، مما جعل الذات تنظر نظرة إجلال للغتها الرسمية وتفخر وتتمسك بها.

يشابه الرحالة سعيد بن حمد الحارثي، ابن بطوطة المغربي الطنجي، في كثرة

رحلاته المتنوعة؛ حيث بلغت رحلاته أكثر من أربعين رحلة شملت العديد من مناطق السلطنة ودول الخليج العربي وتوزعت بين دول آسيا وأوروبا وتعدتها إلى القارة الأمريكية، مكتوبة بصورتي أدب الرحلات الشعرية والنثرية .

تمثل رحلة السلطان برغش في القرن التاسع عشر بداية الاتصال بأوروبا والانفتاح على مظاهر النهضة لديها، ومحاولته نقل التأثير الذي أدهشه ومظاهر الحضارة إلى بلاده، أما رحلة السلطان خليفة بن حارب فهي تعكس تطور العلاقات مع أوروبا وتوطيدها ومشاركة الذات في مناسبات الآخر الرسمية الوطنية.

رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا عام 1936 - 1960 م تحتل الصدارة في الرحلات العمانية الدبلوماسية، فقد رحل السلطان خليفة ليشهد مناسبتين قوميتين في أوروبا بدعوى رسمية والمتمثلة في (تتويج الملك جورج السادس عام 1936م وحضور حفل تتويج الملكة إليزبيت الثانية عام 1953م) .

إن النتائج التي توصلت إليها الباحثة تحتم وجود توصيات ومقترحات معينة؛ وذلك ليستفيد منها الدارسون في هذا المجال، كما أنها تفتح آفاقاً جديدة للدراسة في أدب الرحلات العمانية، ومن هذه التوصيات والمقترحات:

القيام بتحقيق بعض المخطوطات التي تتعلق بأدب الرحلات العمانية، الكائنة في وزارة التراث والثقافة، وأهمها مخطوط "أول قطرة من طل بسيرة أبي محمد البطل"، وكذلك مخطوط "الرحلة العدلية إلى الديار الغربية"؛ ذلك لأنها تمثل مجموعة من الرحلات التي تستحق الدراسة.

إعادة تحقيق «اللوامع البرقية»، وهي رحلة سياحية للممالك الأفريقية، قام بها السلطان حمود بن محمد البوسعيدي (1853-1920) واصطحب فيها كاتبه الخاص الشاعر ناصر بن سالم بن عديم الرواحي المشهور بـ (أبي مسلم البهلاني)؛ وذلك لعدم توفر المنهج الصحيح في التحقيق، حيث يجد القارئ صعوبة في قراءة الرحلة لرداءة الطباعة، وصعوبة في تحديد بعض الأمور، فهي من الرحلات

السياحية التي تستحق دراستها لأنها تحفل بسجل من الأحداث التاريخية والأدبية وتصور الحضارة والعمران في فترة الوجود العماني بشرق أفريقيا.

النظر في تحقيق "رحلة السلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا" فالمخطوط الأصلي أوضح وقد أدرج ضمن الطبعة الأولى من كتاب "جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار".

إفراد دراسة خاصة لرحلات كل من : (قسور بن حمود الراشدي وسعيد بن خلف الخروصي) في مجال الرحلات القضائية، لأنها تعدُّ مورداً خصباً لطلاب الدراسات الشرعية في مجال الأحكام، وطلاب التاريخ؛ فهي منهل تاريخي لأحداث الحروب القبلية في عمان، وهي معين لا ينضب للباحثين في الرحلات الشعرية.

التوجه للعناية بأدب الرحلات العمانية إلى الديار المقدسة فهي مادة خصبة للدراسة والتحليل.

دراسة المنظومات (الأراجيز) التي تمثل ثروة للأدب في عمان بخاصة والأدب العربي عامة، دراسة أدبية فهي تستحق الدراسة والتحليل واستخراج مكنوناتها الأدبية الراقية والاستفادة منها في مجالات مختلفة على مستوى أدب الرحلة، ومن هذه المنظومات الرائعة منظومتا الشاعر سعيد بن عبدالله بن غابش النوفلي: المنظومة الأولى» الرحلة الأدبية للأقطار الأفريقية» وهي تتألف من سبعمائة وتسعة عشر بيتاً، والمنظومة الثانية «الرحلة الأخروية»، وكذلك «الأرجوزة الإسلامية إلى القارة الأمريكية» وهي للرحالة سعيد بن حمد الحارثي.

دراسة «الرحلة العدلية إلى الديار الغربية»، لأبي الفضل محمد بن عيسى الحارثي، بالإضافة إلى تناول رحلاته المختلفة والمتنوعة في ديوانه، دراسة أدبية وافية.

تخصيص دراسة أدبية للرحلات النظمية، فهي تمثل الجزء الأكبر في أدب الرحلات العمانية.

دراسة رحلات سعيد بن حمد الحارثي، دراسة موسعة ومستفيضة، فهذا الرحالة يجتمع مع ابن بطوطة في كثرة ارتياد الآفاق، حيث بلغت رحلاته أربعين رحلة

ونيفاً، كما تنوعت رحلاته بين شعرية وأخرى نثرية، وقد حملت رحلاته ميزات أخرى أهمها، وجود نماذج لرحلات داخل عمان وأخرى في الشرق الأفريقي، ورحلات إلى دول منطقة الخليج العربي ولدوافع مختلفة، وتتوزع رحلاته الأخرى بين قارات في العالم (آسيا، أفريقيا، أوروبا، القارة الأمريكية، وأستراليا).

دراسة مضامين الخطاب في الرحلات العمانية، وذلك من خلال الحس الإسلامي، والحنين إلى الوطن، وسيلة الرحلة، الرؤى النقدية، وتشمل نقد الذات ونقد الآخر.

القيام بدراسات مقارنة في أدب الرحلات العمانية، وتقترح الباحثة أن تكون من بين هذه الرحلات، رحلة السلطان برغش والسلطان خليفة بن حارب إلى أوروبا.

القيام بدراسة تتناول نقد الذات والآخر في أدب الرحلات العمانية.

دراسة الرحلات الشعرية (الأراجيز) دراسة مقارنة تهدف لإظهار الخصائص الأدبية للأراجيز الرحلية في أدب الرحلات العمانية.

القيام بدراسة تتناول الحديث عن (أدب الرحلات العمانية في الشرق الأفريقي) وإبراز دور المهجر في نمو أدب الرحلات في القرنين التاسع عشر والعشرين.

عمل منهج أدبي هادف، يتناول أدب الرحلات العمانية، يدرسه الطلاب في المدارس الثانوية ضمن منهج اللغة العربية، وأن يكون مقرراً لطلاب الجامعات في التخصص الأدبي.

آملة من الله التوفيق والعون

إصداراتنا

م	الكتاب	نوعه	المؤلف
1	سرديات عمانية	نقد	محمد بن سيف الرحبي
2	على حواف الشعر	نصوص	محمد بن سيف الرحبي
3	خطى وأمكنة	رحلات	عبدالرزاق الربيعي
4	رحلة أبوزيد العماني (ط2)	رواية	محمد بن سيف الرحبي
5	حقول الكلام	مقالات	مسعود الحمداني
6	هذا الذئب يعرفني	نصوص	خالد بن علي المعمري
7	رحيق النار	نصوص	زهران القاسمي
8	الطبيعة في الرواية العمانية	دراسات	منى بنت حبراس السليمية
9	إيضاح الطريقة للفنون العريقة فن المسبع	شعر	خميس بن جمعه المويتي
10	إيضاح الطريقة للفنون العريقة التغرود	شعر	خميس بن جمعه المويتي
11	قديس يحلق بعيدا	شعر مترجم	الشاعر الكوري: تشو أوهيون ترجمة/ أشرف أبو اليزيد
12	مظلة الحب والضحك	نصوص	بشرى خلفان
13	الديك	رواية	سالم الجابري
14	رفرفة (ط 2)	قصص	بشرى خلفان
15	نوارس الحكايات	قصص	محمد بن سيف الرحبي
16	حدود المشاوير	شعرشعبي	محمد الراسبي
17	اشكاليات الشعر العربي	دراسات	رقية بنت سيف البريدية
18	القافر	رواية	د. خالد الكندي

إصداراتنا بالتعاون مع الجمعية العمانية للكتاب والأدباء

1	لعيني ديالى	نصوص	محمد بن حبيب الرحبي
2	الخيمة ومفاتيح الحظ	مسرح	عزة القصابية
3	لآلىء عربية	مقالات	ناصر بن حمود الحسني
4	بين قدرين	رواية	رأفت ساره
5	تحت المطر	مقالات	خالد بن علي المعمري
6	المشهد القصصي في الأردن	دراسات ونصوص	مجموعة كتاب أردنيين

إصداراتنا بالتعاون مع البرنامج الوطني لدعم الكتاب بالنادي الثقافي

1	النباتات البرية في سلطنة عمان	علوم	يحيى بن سعيد الفطيسي
2	ابن عربي عندما يكون الحب حائرا	دراسات	عثمان بن موسى السعدي
3	نظرية قدامة	دراسات	قاسم بن سالم آل ثاني

إصداراتنا بالتعاون مع الجمعية العمانية للمسرح

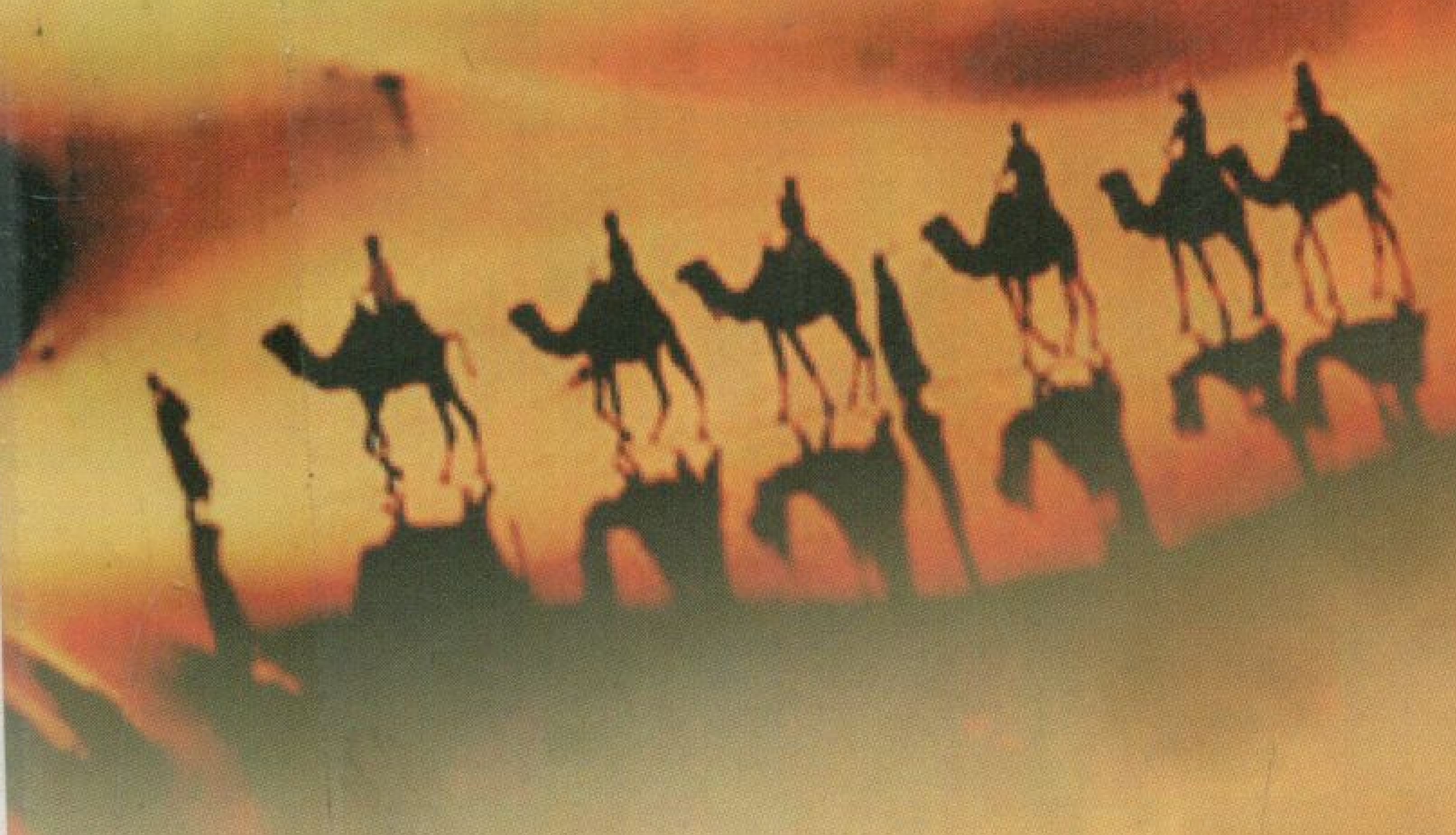
1	الآخر في المسرح العماني	دراسة	د. كاملة بنت الوليد الهنائية د. سعيد بن محمد السيابي

طبع بمطابع مؤسسة عمان للصحافة والنشر والإعلان

أدب الرحلات العمانية

السفر يعطي للإنسان أفقًا في التفكير، ومتسعًا في تنوع التعبير، وذلك لأن النفس من طبيعتها الملل إذا ما ألفت المكان الذي تعيش فيه وقتًا طويلاً، دون تغيير، ولو ظل الإنسان رهين بيته لما قامت حضارة مادية ومعنوية.

ولأننا في زمن كثرت فيه الأسفار، وتقاربت فيه الأقطار، والمسافرون آلاف مؤلفة، والمرتحلون أعداد هائلة، والمغتربون أرقام مذهلة والمهاجرون كثرة كاثرة، حتى أصبح الأصل في الناس السفر... المطارات تغص بالمسافرين، والخطوط البرية معمورة بالمهاجرين، والبحار تفيض بالمرتحلين، أصبح لهذه الأمم المسافرة أدب يأنس به المسافر ويسلو به القارئ، إنه "أدب الرحلة".





ISBN 978-99969-55-16-7
9 789996 955167

بيت الغشام
للنشر والترجمة